

ملكية السلطان عبد الحميد الثاني في فلسطين (١٨٧٦-١٩٣٧م)

The Ownership of Sultan Abdul-Hamid II in Palestine(1876-1937)

أمين أبو بكر

قسم التاريخ، جامعة القدس المفتوحة، منطقة نابلس التعليمية، نابلس، فلسطين.

بريد الكتروني: aabubaker@qou.edu

تاريخ الاستلام: (١٧/٦/٢٠٠٢)، تاريخ القبول: (٩/٢/٢٠٠٣)

ملخص

يعالج هذا الموضوع ملكية السلطان العثماني عبد الحميد الثاني (١٨٧٦-١٩٠٩) للأراضي التي كانت ولا تزال تعرف بعدة مسميات، ومن أهمها الجفتاك، والسلطانية، والحميدية وكانت قد تجاوزت بمساحتها البالغة نحو (٢.٥) مليون دونم كل مقاييس المقارنة مع الملكيات التي شهدتها فلسطين في العصر الحديث.

وقد تم عرض هذا الموضوع في ثلاثة محاور أساسية، حيث أفرد المحور الأول لمعالجة العوامل الفاعلة في تشكيل الملكية، وعلى وجه التحديد نظام الإلقاء الذي حتمته أوضاع فلسطين الاقتصادية، والاجتماعية، والسياسية، وسياسة الإعمار التي انتهجتها الدولة العثمانية إبان عهد التنظيمات، ومقاومة حركة التغلغل الأجنبي. في حين أفرد المحور الثاني لدراسة حجم الملكية ودرجة انتشارها في المقاطعات الفلسطينية الثلاث: عكا، ونابلس، والقدس، وتركزت في كل من حوض الحولة، ومنابع نهر الأردن، وسهل غور بيسان، وغور الفارعة، وسهل أريحا، وتل عرار، وزور وادي نهر الزرقاء، ورفح وغيرها من المواقع. أما المحور الثالث، فقد خصص لمعالجة التحولات الجذرية التي خيمت على أراضي الجفتاك، وركز في ذلك على حل الملكية وإعادتها إلى خزينة الدولة العثمانية، ومحاولات حركة التغلغل الأجنبية النفاذ، إليها وعلى وجه التحديد الشركات الصهيونية، وذلك بعد تنحيه السلطان عن سدة الحكم من قبل جمعية الاتحاد والترقي ١٩٠٩م إلى أن حسم أمرها خلال عهد الانتداب البريطاني ١٩٣٧م.

Abstract

This subject deals with the land ownership of Sultan Abdul-Hamid II in Palestine during the period from 1876 to 1937. These lands have been known by various titles including the lands of Jeftlek, the Sultanate, and the Hamidian. The areas of these lands which equal about 2.5 million dunums broke the record of all the ownership that Palestine has witnessed in the modern age.

The subject has been approached in three main axes. The first dealt with the factors that influenced the ownership formation specifically the enforcement system that was put in effect due to the economical, social and political conditions of Palestine. The other factor was the development policy adopted by the Ottoman Empire during the age of organization and the resistance of the foreign interpenetration movement. The second axis dealt with the size of ownership and the extent of its spread in the three Palestinian districts: Acre, Nablus, and Jerusalem. It focused in Al-Hawla basin, the sources of the Jordan River, the plain of Bisan valley, al-Fara' valley, the plain of Jericho, the hill of Irad, the side of Zerqa River, Rafah, and other locations. The third axis was dedicated to deal with the radical changes that overwhelmed the Jeftlek lands. It also concentrated on the process of solving the question of ownership and returning them to the state treasury. In addition it dealt with the attempts of the foreign interpenetration movement specifically the Zionist corporations after the expulsion of the Sultan by the Union and Development Society in 1909 until it was settled during the British Mandate in 1937.

المقدمة

شهدت الملكية العقارية بعامة، والأراضي وخاصة في فلسطين العديد من التحولات في أعقاب صدور قانون الأراضي العثماني عام ١٨٥٨م على وجه التحديد، وذلك بصفته أول قانون مدنى يخرج إلى حيز الوجود يعالج شؤون الملكية العقارية حيازه، وتصرفاً، واستغلالاً، وتطبيقه ميدانياً في فلسطين عام ١٨٦٩م. ومن أهم تلك التحولات، تخلص الأرضي من النظم الإقطاعية البالية، والعادات والتقاليد المستمدة من تراث البوادي، وضبط الملكية العقارية وتنظيمها وفق قوالب قانونية محددة، وبروز الملكية الفردية الخاصة، ونمو الملكيات الكبرى على حساب الملكيات الفردية الصغيرة والمتوسطة، وأثبات حق خزينة الدولة في ملكية أراضيها وزيادة فعاليتها في الجهاز الضريبي، وإصرار الرعايا الأجانب والحركة الصهيونية على تملك الأراضي.

وجاء اختيار هذا الموضوع ميداناً للدراسة والبحث نتيجة لثلاثة عوامل على درجة متوازنة من الأهمية، ويقضي العامل الأول بتوافر المصادر الأولية، وفي مقدمتها سجلات المحاكم الشرعية^{*}، ودفاتر الأرضي العثمانية، التي تميز بخصوصيتها المحلية، وشموليتها وتفصيلتها لفترة الدراسة،

* تنويعه: سوف يشار لسجلات المحاكم الشرعية العثمانية والتي تغطي الفترة الواقعة ما بين ١٨٤٠-١٩٢٠م والخاصة بكل من محكمة القدس الشرعية ونابلس والخليل وباقا والمحفوظة في مركز الوثائق والمخطوطات في الجامعة الأردنية وسجلات محكمة جنين المحفوظة في محكمة جنين الشرعية عند ورودها على النحو التالي: اسم المدينة والجناحها رقم السجل ومثال على ذلك سجل رقم (٤٠٧) من سجلات القدس والذي يعود في تاريخه إلى عام ١٣٢٦هـ / ١٩٠٨م / ١٣٣١هـ / ١٩١٢م: القدس، ٤٠٧، ص ١١٦.

وموضوعية مادتها، وعدم تحيزها، لكونها لم تكتب لأغراض التاريخ وإنما وضعت لخدمة أغراض سامية غايتها خدمة الدين، والدولة، وحفظ الحقوق العامة، وحداثة استخدامها وتوظيفها في الدراسات التاريخية، الأمر الذي يضفي على مادتها قدراً كبيراً من الجدية والحيوية، إضافة إلى الصحف المحلية والعربية المعاصرة، في حين يتمثل العامل الثاني بسد التغرات التي أغلقتها دراسات الباحثين المحدثين التي عالجت بطريقة أو بأخرى قضايا الملكية العقارية في فلسطين خلال العهد العثماني والإنداب البريطاني.

أما العامل الأخير، فيتمثل في الإجابة عن مجموعة التساؤلات التي قد تطرح حول الأسباب التي حملت السلطان عبد الحميد على تملك مساحات واسعة من الأراضي؟ وما هي الظروف التي حملت الرعاعيا على التنازل عن عقاراتهم لصالح السلطان؟ وذلك بما اشتملت عليه من أراض وبيوت، وحواكير، وأصطبلات، وخانات، وما هي النتائج التي آلت إليها الأرضي السلطانية بعامة والفلسطينية بخاصة بعد تحييـة السلطان عن سدة الحكم عام ١٩٠٩م؟

ومن أجل الإجابة عن هذه الأسئلة وغيرها فقد تم عرض الموضوع في ثلاثة محاور رئيسية، ويتمثل أولها في تشكيل الملكية. وقد تم التركيز فيه على نظام الإلـاء الذي حتمته الظروف الاقتصادية والاجتماعية التي خيمت على فلسطين خلال القرن التاسع عشر ومطلع العشرين، وفي مقدمتها انكسار الضرائب، وغارات القبائل البدوية، وتعسف الملـزمـين والامتيازـات التي منحـها السلطـان للأجانـب، وسياسة الإـعمـار التي انتهـجـتها الدولة العـثمـانية لإـعمـارـالأـراضـيـ المعـطلـةـ بـفـعلـ العـوـافـلـ البشرـيةـ والـطـبـيعـيـةـ، وـمقـاـوـمـةـ حـرـكـةـ التـغـلـلـ الـاجـنـبـيـ منـ جـانـبـ الدـوـلـ الـاسـتـعـمـارـيـةـ منـ نـاحـيـةـ، وـالـحـرـكـةـ الصـهـيـونـيـةـ منـ نـاحـيـةـ اـخـرـىـ، وـحـقـنـ دـمـاءـ الرـعـيـةـ وـالـحـيـلـوـلـ دونـ قـيـامـ نـزـاعـاتـ دـمـوـيـةـ مـرـيـرـةـ بـيـنـ الأـهـالـيـ، فـيـ حـيـنـ أـفـرـدـ الـمحـورـ الثـانـيـ لـمـعـالـجـةـ حـجـمـ الـمـلـكـيـةـ وـانتـشـارـهـ فـيـ أـقـلـيـمـ فـلـسـطـينـ التـلـاثـةـ: الـجـلـيلـيـ، وـالـسـهـلـيـ، وـالـغـورـيـ، حيثـ تـرـكـ اـمـنـادـهـ فـيـ (١٤)ـ مـوـضـعـاـ، وـهـيـ: حـوـضـ الـحـولـةـ، وـسـهـلـ غـورـ بـيـسانـ، وـالـدـلـهـيـةـ، وـسـمـخـ، وـسـمـرـاـ، وـغـورـ الـفـارـعـةـ، وـسـهـلـ أـرـيـحاـ، وـالـغـيـبـةـ، وـزـلـفـةـ، وـتـلـ عـرـادـ، وـزـورـ الزـرـقاءـ، وـالـمـحرـقةـ، وـيـافـاـ، وـرـفـحـ. أـمـاـ الـمـحـورـ الـأـخـيـرـ، فـقـدـ خـصـصـ لـمـعـالـجـةـ التـحـولـاتـ الـتـيـ اـنـتـابـتـ الـمـلـكـيـةـ، وـتـمـ التـركـيزـ فـيـ أـمـرـيـنـ: الـأـوـلـ: حلـ أـرـاضـيـ الـجـفـنـاكـ عنـ اـسـمـ السـلـطـانـ عبدـ الـحـمـيدـ الـثـانـيـ، وـإـعادـتـهـ إـلـىـ خـزـينـةـ الـدـوـلـةـ بـصـفـتـهـ الـمـالـكـ الـحـقـيقـيـ لـأـرـاضـيـ الـإـمـبرـاطـورـيـةـ الـعـثـمـانـيـةـ حيثـ بـاتـ تـعـرـفـ بـاسـمـ الـأـرـاضـيـ الـمـدـورـةـ أـيـ- الـمـنـتـقلـةـ - وـالـثـانـيـ: حـرـكـةـ التـغـلـلـ الـاجـنـبـيـ فـيـ جـنـبـاتـهـ، وـالـمـصـيرـ الـذـيـ آـلـتـ إـلـيـهـ مـنـذـ إـقـسـاءـ السـلـطـانـ عنـ سـدـةـ الـحـكـمـ فـيـ ١٩٠٩ـمـ، وـتـسـلـمـ جـمـعـيـةـ الـاـنـتـادـ وـالـتـرـقـيـ مـقـالـيـدـ

الامور حتى رحيل الحكم العثماني رحيلًا لا رجعة فيه عام ١٩١٨م، وذلك خلال فعاليات الحرب العالمية الأولى ١٩١٤-١٩١٨م، ودخولها تحت نير الاستعمار البريطاني إلى أن حسم أمرها عام ١٩٣٧م.

أولاً: تشكيل الملكية

شكل السلطان عبد الحميد الثاني (١٨٧٦-١٩٠٨م) ملكية واسعة من الأراضي قدرت مساحتها بـ(٥٠) مليون دونم، بل ذهبت بعض المصادر إلى أبعد من هذا، فقدرتها بنحو (٦٤) مليون دونم^(١). وربما لا نبالغ إذا قلنا إنها حظمت في مساحتها كل مقاييس المقارنة مع الملكيات الكبيرة التي شهدتها العالم في العصر الحديث، وكانت تعرف بالأراضي السلطانية أو الجفتناك السلطاني - أي المزارع السلطانية - أو الأراضي السنوية^(٢) وقد تركز انتشارها في أراضي الولايات العثمانية الممتدة في بلاد الشام والعراق والروملي^(٣) حيث امتد ما يقرب من "ثلاثة أخماسها ما بين سوريا وفلسطين وأكثر من الخامس في العراق وما تبقى في الروملي....."^(٤).

ومما لا شك فيه، أن إقدام السلطان عبد الحميد على تشكيل هذه الملكية لم يأت من فراغ، وإن البحث عن الأسباب الكامنة خلفها لا بد أن يثير مجموعة من التساؤلات، وفي مقدمتها: هل كان السلطان يتطلع إلى تحويل مساحة شاسعة من أراضي الدولة إلى ملكية خاصة يورثها لأبنائه من بعده على غرار ولادة العهد؟ وهل يمكن أن تعتبر أمير المؤمنين قد تحول إلى سيد إقطاعي ورعاياه إلى عبيده؟ وما هو موقف الرعية بعامة وأهل الحل والعقد وخاصة من نزعة السلطان نحو التملك؟ وكيف

^(١) جريدة المقتبس عدد ٥٠٢، ١٩١٠/١١/١٩، ص ١. جريدة المغيد، عدد ٥٤٣، ١٩١٠/١١/١٥، ص ١-٢. أبو بكر، ٥٥٧.

^(٢) الجفتناك كلمة تركية وتعني زوج من الثيران وتطلق على الأرض التي يحرثها الفدان أو زوج من الثيران خلال سنة زراعية وما يشتمل عليه من محاصيل شتوية وصيفية وتتراوح مساحتها ما بين (٢٠٠-٥٠٠) دونم، انظر: القدس، ٣٨٠، ص ٢٨. القدس، ٣٩٢، ص ١٧٣. القدس، ٣٩٣، ص ٩٨، ١٧٩-١٨٠. القدس، ٣٩٧، ص ١٧٩-١٨٠. القدس، ٤٠٧، ص ١١٦. نابلس، ٤٠، ص ٩-٨. نابلس، ٤٥، ص ٥٧-٥٨. جنين، ٣، ص ٨٦. جنين، ٤، ص ٨١، ٨٨. الدستور، ج ١، ص ٥٠.

^(٣) الروملي: - مصطلح شاع استخدامه في الدولة العثمانية وكان يطلق على أقاليم بلغاريا الحالية: - جريدة المغيد عدد ٥٤٣، ١٩١٠/١١/١٥، ص ١-٢.

^(٤) جريدة المغيد عدد ٥٤٣، ١٩١٠/١١/١٥، ص ١-٢.

آلت إليه الأراضي من متصرفاتها؟ وكيف سجلت على اسمه في دوائر الطابو؟ فهل أخذها بالشراء أم بالقهر والغلبة؟ أم أنه أساء استغلال ولايته على أموال الخزينة المنقوله وغير المنقوله والمستمدة من القواعد الشرعية فأوزع إلى عماله في دوائر الطابو بتسجيل ما يروه مناسباً على اسمه من الأراضيالأميرية والموات والبحيرات والتي تعود رقبتها للخزينة؟ وإذا كان قد أخذها بالشراء فمن أين أتى بالأموال الطائلة لشرائها؟ وهل لجأ للاختلاس من أموال الخزينة لدفع ثمنها؟ وهل يمكن أن نعده مستثمراً ناجحاً استطاع أن يوظف قدرًا من مستحقاته المالية إلى وسائل إنتاج رابحة وسلح رائحة؟ وما هو حجم العائدات الضريبية التي حصل عليها السلطان مقابل إيرامه عقود الإلقاء مع رعاياه؟ واستناداً إلى المصادر المتوافرة بين إلينا، نلاحظ أن السلطان عبد الحميد قد شكل ملكيته في فلسطين نتيجة لعدة عوامل من أهمها:

أ. الإلقاء

كلمة عربية مصدرها لجأ، وتعني الإسناد والعصمة والحماية^(١)، وترمز إلى الجهة التي تتمتع بقوة معنوية، ومقدرات مادية، ويلوذ بها الضعفاء لحماية أنفسهم ومتذمّراتهم من الأخطار التي تهددهم. وقد شهد التاريخ العربي الإسلامي ظاهرة الإلقاء عبر مسيرة الحضارة منذ العهد الجاهلي، وكانت تتوقف شدتها وفعاليتها على الظروف الاقتصادية والاجتماعية والسياسية الحرجية التي كانت تعصف بالمجتمع، أو بعض فئاته بين حين وآخر^(٢). ونلاحظ أن نظام الإلقاء قد شاع في الولايات العربية، إبان الحكم العثماني، واتضحت ملامحه في القرن التاسع عشر، وعلى وجه التحديد بعد صدور تنظيمات الأرضي ابتداءً بتصور قانون الأرضي عام ١٨٥٨م الذي يعتبر أول قانون مدني يظهر إلى حيز الوجود ينظم شؤون أراضي الدولة العثمانية حياة وتصريفاً واستغلالاً^(٣)، وذلك نتيجة للتحولات الاقتصادية والاجتماعية السياسية التي عاشتها الدولة، وواكبت تطبيق أحكامه من خلال نظام

^(١) ابن منظور، (مادة لجأ).

^(٢) البلاذري، ص ٣٦٠.

^(٣) قانون الأرضي، المادة (١٣٢-١).

الطايو الصادر عام ١٨٥٩م^(١) حيث أصبحت دوائر الطابو والقوشين الصادرة عن دائرة الدفتر الخاقاني في أسطنبول المرجعية الأولى بكل ما يجري بحق رقبة الأرض وما يدور عليها من نشاط حيوي^(٢).

وقد أسمى نظام الإلقاء إسهاماً فاعلاً في تشكيل بنى الملكيات الكبيرة في فلسطين، وفي مقدمتها ملكية السلطان عبد الحميد، وهو ما حتمته الظروف الصعبة التي كانت تعصف بالمزارعين بين حين وآخر وكانت على درجة كبيرة من الشدة والعنف إلى حدٍّ حملهم على الرحيل عن ديارهم وتترك الأرض وشانها، أو البحث عن ملاذ آمن يحتمون به. عملاً بذلك فقد دخل بعضهم في إلقاء الزعامات المحلية المنتشرة في بلاد الشام من تلك المقدرات الاقتصادية والسلطة والنفوذ⁽³⁾، في حين وجد بعضهم في السلطان عبد الحميد خليفة المسلمين وإمامهم ملذاً مناسباً في الدولة العثمانية⁽⁴⁾، حيث تهافتوا على الديوان السلطاني ومكاتب وكلائه في فلسطين، أو ما كان يعرف باسم دوائر الجفاك السلطاني للتنازل عما في تصرفهم من الأراضي الأميرية، التي تعود رقبتها لخزينة الدولة، ويعتبر السلطان المؤمن عليها باسم الأمة، وسجلوها باسمه في دائرة الدفتر الخاقاني في إسطنبول والدوائر المقرعة عنها، وفي نفس الوقت فقد استمروا في فلاحتها مقابل تقديم خمس المحصول للسلطان، وهي نسبة قليلة إذا ما قورنت بحجم الضرائب المترتبة على الإنتاج، والتي كانت تتراوح ما بين الثلث والنصف، علوة على الرشاوى الباهظة، وإيتارات المحصلين. ونتيجة لذلك لم نعثر على أية إشارة تدل على أن السلطان تذكر لرعاياه، وحملهم على التنازل عن أراضيهم بالقوة أو أنه بعد تنازلهم عنها قد أجلهم أو استبدل بهم مزارعين جدد⁽⁵⁾، أو تحميلاً من الضرائب ما لا طاقة لهم به، وإذا ما

^(١) نظام الطابو ، المادة (١).

(٤) شرعت الدولة العثمانية في إنفاذ تقييمات الأراضي في فلسطين عام ١٨٦٨م، أي بعد حوالي عشر سنوات من صدورها حيث فتحت دوائر الطابو أبوابها وشكلت اللجان المتخصصة بمسح وتسجيل الأراضي: - دفتر (١١) تحقیقات، ص ١-٤٢.

^(٣) جولة ميدانية، قرية عرابة، ٢٧/٧/٢٠٠٠م، ولمزيد من الإطلاع انظر: جريدة اليرموك عدد ٨٩، ١٧/٩/١٩٢٥م، ص. ١٠. النص، ص. ٧٧-٧٣.

⁽⁴⁾ جريدة فلسطين عدد ٢٥١، ٥/٧/١٩١٣م، ص ٢. جريدة اليرموك عدد ٢، ١١/٩/١٩٢٤م، ص ١. جريدة اليرموك عدد ٩، ١٧/٩/١٩٢٥م، ص ١.

⁽⁵⁾ جريدة المغيد عدد ٥٤٣، ١١/١٥، ١٩١٠م، ص-٢. جريدة فلسطين عدد ٢٦١، ٨/٩، ١٩١٣م، ص. ٣. جريدة الكرمل عدد ٧٤٧، ٩/١٤، ١٩٢١م، ص. ٤. جريدة اليرموك عدد ٢، ٩/١١، ١٩٢٤م، ص. ١. جريدة اليرموك عدد ٨٩، ١٧، ٩/٩، ١٩٢٥م، ص. ١. مقابلة شخصية، محمود علان ضامن بركات المساعيدين ٧٥ سنة، قرية الجفتلك ١٠/١، ٢٠٠٢م.

حصلت بعض التجاوزات من قبل بعض وكلائه فإن الرعية لم تتوان عن رفع تظلماتها للقضاء، كما حصل مع حمولة الضراغمة من أهالي بلدة طوباس، عندما رفعوا قضيّتهم على السلطان في محكمة التمييز بسبب وضع يده على أراضيهم المجاورة للجفتلوك لكونها غير مزروعة ويستخدمونها لرعاي مواشיהם وذلك من قبل وكلائه وصادق على تسجيلها مجلس ادارة لواء نابلس فحصلوا على قرار يقضي برفع اسم السلطان بعد أن سجلت على اسمه في سجلات الطابو^(١) وان عبارة مغتصب، أو مستبد بأرض الأمة، وغيرها التي وصم بها السلطان لم تظهر إلا بعد خلعه من سدة الحكم^(٢).

وتتجلى عقود الإلقاء، التي أبرمها السلطان عبد الحميد مع رعاياها من المزارعين، وذلك من خلال وكلائه المنتشرين في المقاطعات الفلسطينية^(٣) في عقود البيع الصورية التي أبرمت في دوائر الجفتلوك، أو الواقع المأهولة المدنية والريفية والبدوية التي كانوا يقيمون فيها، وبموجبها تنازلوا عن أراضيهم للسلطان مقابل أثمان رمزية لا يمكن مقارنتها بأسعار الأراضي الرائجة في الأسواق المحلية، ومن ثم توقيتها في دوائر الجفتلوك والطابو والمحاكم الشرعية لتكون مرجعية قانونية لتأكيد عقود الإلقاء، ومظلة، آمنة يستظلون بها لحماية أنفسهم، ومصادر دخلهم من أية تعديات تعرّض سبيلاً لهم في الحاضر والمستقبل^(٤).

أما الأسباب التي حملت المزارعين على التنازل عن أراضيهم والتطرف في ذلك إلى حد التنازل عن الحواكيير القريبة من الأراضي المشمولة بالعمار، والذهاب إلى بعد من هذا في التنازل عن البيوت وساحاتها، والدخول في إلقاء السلطان عبد الحميد^(٥) فتتمثل في أربعة عوامل هي على النحو التالي:

^(١) النمر، ج ٣، ص ٧٠-٧١. مقابلة شخصية، الحاج محمد صالح دجور، ٢٠٠١، عرابه، ١١/١٩٩٩ م ورشيد عبد اللطيف، ٦٥ سنة، عرانة، ٢٠٠٠/٧/٢٧.

^(٢) جريدة الكرمل عدد ٧٤٧، ١٤/٩/١٩٢١ م، ص ٤. جريدة اليرموك عدد ١١/١٩٢٥ م، ص ١. جريدة اليرموك عدد ٨٩، ١٩٢٥/١٧، ص ١. جريدة الدفاع، عدد ٩٩٤، ١٩٣٧/١١/٤، ص ٧.

^(٣) القدس، ٣٩٢، ص ١٧٣. القدس، ٣٩٣، ص ٩٨. نابلس، ٤٠، ص ٩-٨. جنين، ٥، ص ١٢٨.

^(٤) القدس، ٣٨٠، ص ٢٨-١. القدس، ٣٩٧، ج ١، ص ١٧٩-١٨٠. جريدة الكرمل عدد ٧٤٧، ١٤/٩/١٩٢٩ م، ص ٤.

^(٥) القدس، ٣٨٠، ص ١٨-١٩.

١. انكسار الضرائب

يتمثل ذلك في عجز المزارع عن دفع الواجبات الضريبية المترتبة على الإنتاج للخزينة دفعه واحدة، أو بالتقسيط من خلال موظفي الجهاز الضريبي مباشرةً، وبالذات المناطق التي يسودها الجدب، وقلة الأمطار، وتعرض المحاصيل لهجمات القبائل البدوية المحلية والوافدة، وغزوات أسراب الجراد، والآفات المهلكة، والأوبئة الجارفة، التي كانت تعمل على إلحاق الضرر في المزروعات، والحيوانات العاملة المستخدمة في عمليات الفلاحة، وربما لا نبالغ إذا قلنا: إن انكسار الضرائب المترتبة على المزارعين المتصرفين في أراضي ناحيةبني حارثة ما بين ١٨٤١-١٨٦٣م، وعدم قدرتهم على تسديدها مقططة حسب دخلهم السنوي الموسمي^(١) قد حملهم عام ١٨٩٨م على فراغ جميع أراضي ناحيةبني حارثة للسلطان والدخول في إلائه، وبالتالي منع الخزينة من حلها عن تصرفهم، وبيعها في المزاد العلني لمتصرفين آخرين^(٢).

٢. غارات القبائل البدوية

عانت المواقع المأهولة عناء شديداً من غارات القبائل البدوية المحلية والوافدة، عبر نهر الأردن، والتي غالباً ما جاعت في إطار بحثها عن الكلأ والماء لمواشيها، إبان مواسم الجفاف^(٣)، ونجدات مساعدة للأطراف المتحاربة في المقاطعات الفلسطينية تحت شعار قيس ويبن^(٤)، الأمر الذي جعل الأهالي عرضة للقتل والتشرد وجعل ممتلكاتهم ومحاصيلهم معرضة أيضاً للنهب والرعي وهو ما دفع بالعديد من أهالي المواقع المأهولة على الدخول في حمى السلطان فالغارات التي تعرض لها شمال فلسطين على يد القبائلالأردنية، عملت على اخراب ما يقرب من (٤٠) قرية في غور بيسان وطبرية^(٥).

^(١) الشهابي، لبنان، ج ٣، ص ٦٣١. دفتر (١١) تحقيقات، ص ٤٠-٤٠. دفتر (١٢) كشف، ص ٤٢-٤٢.

^(٢) دفتر (٣٦) يوقلمة عرب البشتواوية، ص ١.

^(٣) Thomson, P. 494. Finn, Vol. 1, pp. 240-250

^(٤) Finn, Vol. 1, pp. 240-250.

^(٥) دفتر (١١) تحقيقات، ص ٤٢-٤٢. جريدة المقتبس عدد ١٢٩٨، ٢٢/٩/١٩١٣م، ص ٢.

٣. تعسف الملتزمين

مارس تجار الضرائب ووكلاً لهم من الجباة، سياسة مجحفة بحق المزارعين وكانت غايتها تحصيل أكبر قدر من الربح وابتزاز الأموال والرشاوي التي لا علاقة لها بحقوق الالتزام، وذلك بالرغم من معرفتهم الدقيقة بأحوال المزارعين من خلال متابعتهم العلنية والسرية لعمليات جني المحاصيل، إلا أنهم كانوا يشككون في نزاهة المزارعين وبتهمونهم بالذبب والسرقة وإخفاء جزء غير قليل من الإنتاج، ويكليلون لهم سبلاً من الشتائم والتهديدات معتمدين، في ذلك، على نفوذهم، وسطوتهم، وعلاقاتهم الوطيدة بالهيئات العثمانية الحاكمة المدنية والعسكرية مما دفع بالعديد من المزارعين إلى السفر إلى استنبول لمقابلة السلطان شخصياً، والتنازل عن الأراضي له مقابل الدخول في حماه أو اللجوء إلى دوائر الجفاك المنتشرة في الأراضي الفلسطينية لتسجيل الأرض باسم السلطان، مقابل التخلص من الظلم والتعسف الذي كان يلحق بهم^(١).

٤. الامتيازات المقدمة

أسهمت الامتيازات، التي قدمها السلطان عبد الحميد لرعاياه الداخلين في حماه، إلى تكريس نظام الإلقاء، وتشجيع غيرهم على الدخول في إطاره للاستفادة من تلك الامتيازات، ومن أهمها: القروض الطائلة المغفاة من الفوائد، وذلك من خلال وكلائه وإعفاء أبنائهم من بلغ سن التكليف من الخدمة العسكرية الإجبارية^(٢)، وتحفيض قيمة المستحقات الضريبية المفروضة على الإنتاج تحت اسم الخرج، أو الأعشار التي كانت تتراوح، في بعض الأحيان بين ٣٣%-٥٠% من قيمة الإنتاج، والاستعاضة عن ذلك بضريبة "خمس المحصول"، أو ما يعادل ٢٠%^(٣).

ب. سياسة الإعمار

أسهمت الظروف والأحوال السيئة، التي خيمت على المقاطعات الفلسطينية، خلال النصف الأول من القرن التاسع عشر، في زعزعة أواصر العمران، الأمر الذي دفع بعجلة العمران إلى الوراء،

^(١) جريدة فلسطين عدد ١٤٣، ٦/٨، ١٩١٢م، ص.١٩٨-١٩٦ Bergheim, PP.196-198 مقابله شخصية، محمود علان الضامن برکات المساعيد، ٧٥ سنة، قرية الجفتلك، ٢٠٠٢/١١٠م.

^(٢) قارن بين كل من التالية:- القدس، ٢٨٠، ص.١٣-٤٩، القدس، ٢٩٠، ص.١٠٥. القدس، ٢٩٣، ص.٦٤. القدس، ٣١١، ص.١٩. القدس، ٣٣٦، ص.٢٣. يافا، ١، ص.٢، ٤٨-٣٩، ٤٢-٤٨.

^(٣) نعم بك، ص.٥٩٦. جريدة البرموك عدد ٢، ١٩٢٤/٩/١١، ص.١.

ونتيجة لذلك، تحول العديد من المدن إلى قرى، وإن احتفظت لنفسها بلقب المدينة المتوارث من الصور الخالية، كما اخترى من على وجه الأرض، العديد من القرى وتحولت مواضعها إلى خرائب بائنة تلوذ بها الطيور الجارحة، والحيوانات المفترسة^(١). وجاء ذلك بفعل مجموعة من العوامل الطبيعية والبشرية الفاسية التي تزامنت أو تعاقبت عليها، وفي مقدمتها انتشار الأوبئة الجارفة، والآفات المهاكرة للحرث والزرع، وتقلبات الطقس غير المألوفة من جفاف، وبرد، وصقيع، وتساقط التلوج، وهطول الأمطار الغزيرة، وحدوث الصواعق، وضربات الزلازل، وغزوارات اسراب الجراد، واجتياح الجيوش الغازية، وهجمات القبائل البدوية واحتلال الغرب الأهلية والصراعات المحلية تحت شعار قيس ويمن، والتمرد الشعبي على السلطة المصرية (١٨٣١-١٨٤١)، وضعف السلطة العثمانية ووهنها، واهتمام التعليم وسيادة الجهل^(٢).

ومما لا شك فيه، أن تراجع النشاط العمراني قد واكبه تراجع في النشاط الزراعي القائم على الأرض، حيث تعطلت أراضي الواقع الآيلة للخراب، وتحولت إلى مسرح لقطيع الماشية، ووكر للطيور والحيوانات البرية، بعد أن طغت عليها الأعشاب البرية، وزحفت على أطرافها الغابة^(٣).

ومع انطلاق حركة التنظيمات، في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، شرعت الدولة بحملة عمران واسعة النطاق، ونتيجة لذلك، خطت المدن خطوات عمرانية جريئة خارج أسوارها وتحصيناتها الدفاعية^(٤)، وأعيد إعمار العديد من الواقع الريفي الآيلة للخراب^(٥) وتجاوز ذلك إلى إحياء الخرائب البايئة التي غدت بؤرة جذب للاستقرار الموسمي من قبل سكان الواقع المأهولة، والذي غالباً ما انتهى بالاستقرار الدائم وملاذا مناسباً للفئات السكانية الوافدة من الولايات العربية

^(١) دفتر (١١) تحقیقات، ص ٥٢-٥٣. دفتر (١٢) کشف مزایدة، ص ٤٢-٤٣.

^(٢) القدس، ٣٣٦، ص ٢٣. نابلس، ٩، ص ٣٦٠. رستم، ٣، ص. أبو بكر، ص ١٠٧-١٢٧.

^(٣) قارن بين كل التالية: دفتر (١١) تحقیقات، ص ٥٢-٥٣. دفتر (١٢) کشف مزایدة، ص ٤٢-٤٣.

^(٤) شرعت مدينة القدس أكبر مدينة في فلسطين ببناء خارج تحصيناتها الدفاعية عام ١٨٦٠ ويتمثل ذلك في بناء المجمع الروسي "المسكونية" القائم قبالة باب الخليل على طريق يافا - القدس: القدس، ٣٥٩، ص ١٩-٢٠. العارف، المفصل، ص ٥٣٦.

^(٥) دفتر (١١) تحقیقات، ص ٥٢-٥٣. دفتر (١٢) کشف مزایدة، ص ٤٠-٤١. دفتر (٢) بوقلمة اذنبه، ص ١٥-١٦. دفتر (٣) بوقلمة الرسم، ص ٨-١٢٠. القدس، ٣٤١، ص ٣٤٦. القدس، ٣٦٢، ص ٢٠٧-٢٠٦. يافا، ٣٠-٢٦. يافا، ١٧٧، ص ٢١٣.

الآسيوية والإفريقية^(١) نظراً لتوافر العديد من المقومات العمرانية فيها كالحجارة الازمة للبناء والكهوف والآبار وغيرها، كما دفعت بالقبائل البدوية نحو الاستقرار وبناء القرى واحتراف الزراعة إلى جانب تربية الماشية. فعلى صعيد ناحيةبني حارثة، على سبيل المثل. لا الحصر، تم إعمار نحو (٢١) موقعآيلاً للخراب، بما فيها مدينة بيسان، وإنشاء (٢٩) موقع جديب^(٢) كما هو مبين في جدول^(٣) وفي عام ١٨٧٨م أعيد إعمار مدينة قيسارية التي آلت للخراب منذ عام ١٢٦٥م، من خلال إسكان المهاجرين المسلمين الوافدين من إقليم البوسنة والهرسك، وتثبيتها لأركان الاستقرار فيها، أحال أراضيها البالغة (١٠٠٠٠) دونم إلى جفتاك سلطاني^(٤)، وفي عام ١٨٩٩م وضع حجر الأساس لمدينة بئر السبع الصحراوية، لدفع أكبر التجمعات البدوية نحو الاستقرار^(٥).

وبالرغم من التطور العمراني الملحوظ في المقاطعات الفلسطينية والذي أخذت مظاهره بالتبور على الأرض من خلال نهضة المدن العمرانية وتضاعف أعداد القرى وازدياد مساحات الأراضي المزروعة فإن مشروع إعمار ناحيةبني حارثة الممتدة ما بين مدينةجنين وبحيرة طبريا والذي شرع بإيفاده عام ١٨٧٠م قد تعرض للانتكاس بفعل غارات القبائل البدوية القادمة من البوادي الأردنية^(٦) وعندما أيقن السلطان عبد الحميد أن أواصر العمران باتت في مهب الريح ولا يمكن أن تستقر إلا باتخاذ إجراءات صارمة، فقد عمد إلى تعزيز قوات الأمن بأسلحة ميدانية حديثة، حتى تتمكن من صد الهجمات البدوية^(٧)، ووضع يده على مساحات واسعة من أراضي الناحية المعطلة وسجلها على اسمه وذلك بهدف تشجيع مزارعيها على العودة إليها، وإغراء الفئات السكانية الوافدة على الدخول في مزارعاته^(٨) وما ان

^(١) القدس ٣٦٢، ص ٢٦-٣٠. يafa ١٧٣، ص ٢١٣. دفتر (٢) يوكلمة انتبه، ص ١٥-١٥. دفتر (٣) يوكلمة الرسم، ص ١-٨.

^(٢) القدس ٣٦٥، ص ٣١٥. القدس ٣٧٩، ص ٤٠٩. القدس ١٤٨، ص ٢٠-٢٤. نابلس ٤٢، ص ٢٠٥. دفتر (١١) تحقيقات، ص ٤٢-٥٢. دفتر (١٢) كشف مزايدة، ص ١-٤٢.

^(٣) الشهادات السياسية، ص ٤٦-٤٧.

^(٤) القدس ٣٩٨، ص ٤١. جريدة البشير عدد ١٤٤٣، ١٩٠٠/٧/٢، ص ٢. العارف، تاريخ بئر السبع، ص ٣١ - ٣٢، ٢٤٥.

^(٥) أفنيري، ص ٢٣-٢٤.

^(٦) جريدة البشير عدد ٧٧٧، ١٨٨٥/٨/٦، ص ٣، أفنيري، ص ٤، أبو بكر، ص ١٢١.

^(٧) دفتر (١١) تحقيقات، ص ١-٥٢. دفتر (٣٦) يوكلمة عرب الشتاوية، ص ١. جنين ٤، ص ٨١ ، ٨٨. جنين ٥، ص ٢٣٢. جنين ١٧، ص ١٧٩. جنين ١٨، ص ١٣٤-١٣٥. جنين ٢٠، ص ٢٦٦-٢٦٧. جنين ٣٦، ص ١٩، ٢٧. نابلس ٤٥، ص ٥٧-٥٨.

حل عام ١٨٩٨م حتى غدت ناحية "بلاد حارثة" ... جميعها لاسم السلطان^(١) الأمر الذي زاد في مساحة أراضيه ليس هذا فحسب لا بل فقد أصدر السلطان إرادته السلطانية عام ١٩٠٠م والقاضية بتحويل مجرى نهر الأردن من بحيرة طبرية وحتى البحر الميت جنوباً بهدف رمي ما يقرب من (١٠) مليون دونم من الأراضي الغورية الخصبة الممتدة على ضفتيه وإعمارها بالسكان^(٢).

ج. مقاومة الاستعمار

بذل السلطان عبد الحميد الثاني جهوداً كبيرة في مقاومة الاستعمار، وحملات التغلغل الأجنبي داخل الإمبراطورية بعامة، والمقاطعات الفلسطينية بخاصة الذي وصل ذروته في النصف الثاني من القرن التاسع عشر^(٣). وكان وضع اليد على الأرض، وتحويلها إلى جفمالك سلطاني من بين الأساليب التي اتبعتها السلطان ووكلاوه في مقاومة الحركة الصهيونية والقوى الأجنبية المتنافسة على تملك الأراضي، وبناء القنصليات والمؤسسات التبشيرية والاقتصادية في المقاطعات الفلسطينية^(٤). ففي عام ١٩٠٦م لم يتمكن مصطفى أفندي، وكيل الجفمالك السلطاني في قضاء غزة، عن وضع يده باسم السلطان على جميع أراضي قرية رفح التي تشكل البوابة الجنوبية لبلاد الشام نحو مصر، وذلك في أعقاب التصعيد الحدودي الذي أثاره الاستعمار البريطاني في مصر، وبين الدولة العثمانية من جهة، ومصر من جهة أخرى. ولم يخف وكيل السلطان هذا الإجراء أمام البعثة المصرية لترسيم الحدود حين قال: "إن الحد الذي نعرفه بين محافظة العريش وقائمة قرية غزة، هو طريق رفيح الذي عليه كوخ للتغرايف وقد كانت أراضي رفح كلها بيد أناس من خان يونس، ولكن لم يكن معهم حجج تثبت ملكيتهم

^(١) دفتر (٣٦) بوقلمة عرب البشتواوية، ص ١.

^(٢) جريدة البشير عدد ١٤٤٣، ١٩٠٠/٧/٢، ص ٣-٢.

^(٣) حول موقف الدولة العثمانية من التغلغل الأجنبي في فلسطين عامة وأراضي الجفمالك السلطاني أيام حكم السلطان عبد الحميد (١٨٧٦-١٩٠٩م) انظر: أبو بكر، ص ٣٢٦-٣٢٨، ٦١٣-٦١٩.

^(٤) قارن بين كل من التالية:- دفتر (١١) تحقيقات، ص ٥٢-١. دفتر (١٢) كشف مزايدة، ص ٤٢-١. دفتر (٣٦) بوقلمة عرب البشتواوية، ص ١.

فانتزعاً منها وضمنها إلى إدارة الجفالك السلطانية، باسم الحضرة السلطانية وبقي الواضعون أيديهم على الأرض يحرثونها كما كان من قبل ويدفعون العشور.....^(١).

بيد أن فكرة الإلقاء، وسياسة الإعمار، التي انتهجها السلطان عبد الحميد في المقاطعات الفلسطينية، كانت ترمي إلى غايات بعيدة المدى، مقصدها إيقاف الأراضي التي تشهد أوضاعا زراعية حرجية، وذلك للحيلولة دون وقوعها فريسة سهلة بيد سماحة القرى الاستعمارية والحركة الصهيونية، ومما يؤيد ذلك الهجمة الشرسة التي تعرضت لها أراضي الجفالك السلطاني بعد إقصائه عن سدة الحكم على يد جمعية الاتحاد والترقى^(٢) والأراضي القريبة منها حتى يتمكنوا من الانقضاض عليها ففي عام ١٩١٣م، وفي خضم المشاريع المشبوهة التي وضعت من قبل السماحة والشركات الأجنبية بهدف استثمارها سعت الحركة الصهيونية لدى الحكومة المصرية لشراء أراضي رفح المصرية الحدودية المتاخمة لأراضي الجفالك السلطاني^(٣).

د. حقن دماء الرعية

اشتدت نزعة التملك في أواسط سكان المقاطعات الفلسطينية في النصف الثاني من القرن التاسع عشر متزامنة مع إعلان تنظيمات الأراضي الصادرة منذ عام ١٨٥٨م وتطبيقها^(٤)، وما اكبهما من ارتفاع في ربحية الإنتاج بعد أن زاد الطلب عليه في الأسواق المحلية والإقليمية والدولية^(٥)، وارتفاع قيمة الأرض كسلعة رائجة في الأسواق المحلية^(٦)، الأمر الذي فجر نزاعاتٍ مريرةً بين السكان على حقوق التصرف بالأرض، ومواضع الحدود ومناطق الرعي والتحطيب، ومقالع

^(١) نعم بك، ص ٥٩٦.

^(٢) جريدة الاتحاد العثماني عدد ١١٩ ١٩٠٩/٢/١٣، ١٩٠٩/١٢/١٥، ص ٣. جريدة العصر الجديد عدد ١١٣ ١٩٠٩/١٢/١٥، ص ٣. جريدة المفيد عدد ٥٢٨ ١٩١٠/١٠/٢، ص ٣ عدد ٥٤٣ ١٩١٠/١١/١٥، ص ١-٢. جريدة البشير عدد ٢٢٨١ ١٩١٣/٧/٢٨، ص ١ جريدة المنادي عدد ٧٢٥ ١٩١٣/٧/١٧، ص ٣-٤. جريدة الكرمل عدد ٦٩٦ ١٩٢١/٢/٢٦، ص ٢. جريدة البرموك عدد ٣٩٢ ١٩٢٥/١١/٢٢، ص ٢. جريدة الجامعة الإسلامية عدد ٧٠٣ ١٩٣٤/١٢/٣، ص ١.

^(٣) جريدة فلسطين عدد ٢٢٩ ١٩١٣/٤/١٢، ص ٢ (٤٥)- قانون الأراضي، المادة (١٣٢-١). نظام الطابو، المادة (-1). شولش، ص ٩٦-١٢٤. أبو بكر، ص ٤٧٥-٤٧٧.

^(٤) أبو بكر، ص ٤٧٥.

^(٥) دفتر (١١) تحقیقات، ص ٥١-٥١. القدس، ٣٤٣، ص ٧٧-٧٦. القدس، ٣٥٤، ص ٨٤-٨٠. القدس، ٣٦٢، ص ٣٠-٢٦، ٥٣، ٥٦. جنين، ١٩١١-١١٩، ص ١٧. نابلس، ٧٤٣-٤٧٠. نابلس، ٢٠، ص ١٩١-١٩٣.

الحجارة وحفاير التراب ومصادر مياه الشرب والري^(١) وغالباً ما تدخلت نظارة الداخلية ودائرة الدفتر الخاقاني في إسطنبول، والحكومات المحلية أو أجهزتها المدنية والعسكرية لحلها^(٢).

إلا أن بعض النزاعات المحلية كان من الممكن حلها في إطار صلاحيات الدوائر المختصة الأمر الذي دفع السلطان عبد الحميد، حرصاً منه على حفظ دماء الرعية، واستمرارية عجلة العمران في التقدم، إلى وضع يده على الأراضي المتنازع عليها. ومن الشواهد الدالة على ذلك إقدامه عام ١٩٠٠م، ومن خلال وكلائه، على وضع يده على أراضي قرية عراد القائمة على بعد (٤٠كم) إلى الجنوب الشرقي من مدينة الخليل، وبالبالغة (٢٠٠٠٠) دونم والتي دارت عليها نزاعات مريرة استمرت ما يقرب من سبع سنوات بين عرب الظلام من قبائل بئر السبع من جهة، وأهالي يطة وحلفائهم من عرب الجهلين من جهة أخرى^(٣)، كما أقدم حسن أفندي مدير دائرة الجفتاك السلطان في مدينة بيسان عام ١٩٠٥م، وهيئة الصلح المراقبة له، على تسوية الخلافات المستعصية بين قبيلتي الصقر والغزاوية المقيمتين في غور بيسان وطبرية التابعين للأراضي السلطانية^(٤)، الأمر الذي وضع حداً لإراقة الدماء بين القبيلتين، ووحد جهودهما نحو مقاومة المشاريع الاستعمارية التي بانت تستهدف أراضي الجفتاك بشكل عام في أعقاب تنازل السلطان عنها^(٥).

وبموجب ما تقدم نخلص إلى نتيجة مؤداتها أن السلطان عبد الحميد قد نسج درعاً معنوياً قوياً حول مساحات شاسعة من الأراضي التي عرفت بالجفتاك في فلسطين وغيرها، وذلك في إطار نظرية

^(١) القدس، ٣٦٢، ص ٣٠-٢٦، ٥٧-٥١. القدس، ٣٥٤، ص ٨٤-٨٠. الخليل، ١٧، ص ٥٣. جريدة الاتحاد العثماني، عدد ١٩٠٨/١١٦، ص ٧١.

^(٢) دفتر (١١) تحقيقات، ص ١-٥٢. القدس، ٣٥٤. ص ٨٤-٨٠. القدس، ٣٦٢، ص ٣٠-٢٦. العارف، بير السبع، ص ١٩٦-١٩٤.

^(٣) العارف، تاريخ بير السبع، ص ١٩٤-١٩٦.

^(٤) ضمت هيئة الصلح في عضويتها كل من الشيخ حسن هاشم مفتى نابلس وأمين القاسم وحسن عبد الهادي وقاسم آغا النمر من أهالي نابلس وحسن برकات شيخ مشايخ ناحية عجلون وعبد القادر الشريدة شيخ مشايخ ناحية الكورة والشيخ مناور أبو غوش شيخ عشيرة البلونة والأمير ضامن البركات شيخ عشيرة المساعد والشيخ عرسان المطلق واحمد المصلح وعلى ذياب من وجوه عشيرة عرب الصقر: - نابلس، ٤، ص ٨-٩.

^(٥) جريدة الكرمل عدد ٦٩٦ / ٢، ١٩٢١م، ص ٢. حول موقف فقهاء المذهب الحنفي في الدولة العثمانية بصفته المذهب الرسمي وقانون الأرضي العثماني من إحياء الأرضي الموات انظر: - أبو يوسف، ص ٦٣-٦٧. قانون الأرضي، المادة (١٠٣-١٠٥).

أبوبة بعيدة المدى خلت مضمونها من اعتبارات الذاتية إلى حد كبير، وكان هدفه إحكام قبضته على أراضي الخزينة، والحرص على عمرانها وفلاحتها، وزيادة فعاليتها في مالية الدولة، والدفاع عنها في وجه المخططات الاستعمارية بصفته أمير المؤمنين، وخليفتهم المؤمن على أموالهم وأرواحهم أما إثبات رغبته الشخصية في الملك فكان من الممكن أن يجد لها مجالاً واسعاً في الأراضي المعطلة، والموات التي ليست بتصرف أحد من رعايا الدولة وتعود ملكيتها للخزينة ومن حق السلطان ومن ينوب عنه حق التصرف بها ومنحها لمن يريد إحيائها بحكم القواعد الفقهية.

ثانياً: حجم الملكية

تعتبر ملكية السلطان عبد الحميد الثاني بإطارها الاجائي، أكبر ملكية شهدتها المقاطعات الفلسطينية في أواخر العهد العثماني، وتتضح أبعادها من خلال البيانات المفصلة، والقرائن المؤكدة التي زودتنا بها المصادر الأولية المتوفّرة بين أيدينا حول مساحتها ومناطق انتشارها وتتركز في الواقع التالية:

١. حوض الحولة

ويمتد بطول (٥٠) كم ابتداء من متابع نهر الأردن المنحدر من جبل الشيخ شمالاً، وحتى بحيرة طبرية جنوباً، وتحيط به مرتفعات هضبة الجولان (٩٠٠-٤٠٠م) من الشرق وجبال الجليل (٩٠٠م) من الغرب، ويتساير في امتداده مجرى نهر الأردن وبحيرة الحولة وتتجاذبه السهول الغوريّة الخصبة الممتدة في أقصى الشمال والمستنقعات المتشكلة بفعل فيضانات النهر وبحيرة الحولة والسهول الممتدة على ضفافها، وعلى مجرى نهر الأردن جنوباً^(١) مستحوذاً على ما مساحته (٩٤٢٨٠٠ دونم)^(٢).

ونتيجة لتشكل المستنقعات في جنباته، ووجود بحيرة الحولة ذات المياه الضحلة، فقد طغت النباتات البرية كالقصب والبردي والدفلة وغيرها على مساحات واسعة منه، وهو ما جعله وكرا منيعاً للبعوض والحميات والقوارض والهوم والحيوانات البرية، ومرتعاً خصباً لقطعان المواشي حيث اتخذت قبيلة الغوارنة، التي جاءت إلى فلسطين، في إطار النقل السكاني الذي واكب الحملة المصرية ١٨٣١-١٨٤١م على بلاد الشام ديراً مناسبة لها حيث المراعي الخصبة والمياه الغزيرة، وبمرور الزمن استطاعت إعمار (١٢) قرية هي: المنشية، ولزاراة، وقطيبة، وأبل القمح، والزوق التحتاني،

^(١) الدباغ، ج ١، ص ٦٦. البديري، ص ١٤٨ .

^(٢) الدباغ، ج ١، ص ٣٧. البديري، ص ١٤٨ .

والناعمة، والدواره، والصالحية، والمفتخرة، والزوية، والدرباشية، والعلمانية، والتليل، في طرافقه الشمالية في حين خيم في اطرافه الجنوبية عرب زبيد، والهيب، والشمالية، والسياد، والقديريه، والزنغرية^(١).

وبالرغم من النمو الملحوظ في الحركة العمرانية في الحوض، الذي واكب الحملة المصرية، إلا أن انتشار الأمراض الجارفة التي تسببها المستقعات، وخاصة الملاриا، قد قزمت النشاط العمراني وقضت أركانه بين فترة وأخرى^(٢)، الأمر الذي ساهم في اتساع رقعة الأراضي المعطلة، مما أحق خسارة فادحة في ميزانية الخزينة من ناحية، وفتح الباب على مصراعيه أمام المشاريع الأجنبية الطامنة في أراضيه من ناحية أخرى الأمر الذي حمل السلطان عبد الحميد على تسجيل جميع أراضي الحوض باسمه بما في ذلك أراضي بحيرة الحولة^(٣) ووضع سكانه تحت إجاهه ومساعدتهم على إعماره وفلاحة أراضيه وتجفيف مستقعاته لتجاوز مشكلة الأمراض والملاриا ونتيجة لذلك تمكنت قبيلة الغوارنة من تجفيف واستصلاح ما يقرب من (١٥٠٠٠) دونم^(٤).

٢. سهل غور بيسان

يعتبر من أهم أراضي الجفتلك السلطاني الممتدة في المقاطعات الفلسطينية، نظراً لاشتماله على أهم السهول الغورية، وسعة مساحته، وخصوصية أراضيه، ووفرة مياهه، واعتماد نسبة كبيرة منها على الزراعة المروية، وجودة مناخه الدافيء، الذي اتاح للمزارعين زراعة المحاصيل التي لا تتحمل البرد شتاءً، وخاصة الخضروات بسبب انخفاضه عن مستوى سطح البحر، وبالتالي تزويد الأسواق المحلية بما تحتاجه من المحاصيل في وقت مبكر من السنة الامر الذي زاد من فعالية دوره في الاقتصاد الوطني ويمتد هذا السهل بين حوض الحولة شمالاً وجرى وادي الشوباش جنوباً، وجبل الجليل ونابلس غرباً، ويندفع ذراعه الایمن باتجاه الشمال الغربي إلى أن يتوقف على مشارف قرية زرعين القائمة عند البوابية الشرقية لسهل مرج بنى عامر، ويستحوذ على ما مساحتها (٨٠٠٠٠) دونم وترتفع

^(١) خارطة فلسطين، (سطر ١-٥ عمود أب) الدباغ، ج ١، ص ٣٨، ٥٠.

^(٢) التميمي، ص ٣٣٧-٣٤٢. الدباغ، ج ٦، ص ٥٥.

^(٣) جريدة الاتحاد العثماني عدد ٤٧٠، ٤/٦/١٩١٠م، ص ٣. جريدة ولاية سوريا عدد ٩٣٢، ٦/٢٧/١٨٨٢م، ص ١-

جريدة الاتحاد العثماني عدد ٤١٩٠٩، ٢/١٣/١٩٠٩م، ص ٣. جريدة المفيد عدد ٢٨ ، ٢/٢٧/١٩١٠م، ص ٣.

^(٤) التميمي، ص ٣٣٧.

مساحته إلى ما يزيد عن (١٠٠٠٠٠) دونم إذا ما أضيف له أراضي الشفا الممتدة على اطراف التلال والجبال المحيطة به^(١).

وبالرغم من المزايا الاقتصادية الهامة التي تتمتع بها هذا السهل إلا أن النشاط العمراني فيه قد تعرض للانكماش بين فترة وأخرى خلال الأعوام ١٨٣١-١٨٧٠م، وذلك بفعل العوارض الطبيعية، وفي مقدمتها زلزال عام ١٨٣٧م، وانتشار الأمراض الجارفة التي كانت تشتت وطأتها على السكان وحيواناتهم في أعقاب تشكل المستنقعات التي كانت تحدثها الأمطار الغزيرة، وفيضانات الأودية النهرية، وإجراءات الحكومة المصرية، وغارات القبائل البدوية المحلية والوافدة من البوادي الأردنية، الأمر الذي أدى إلى خراب غالبية العظام من الواقع المأهولة المنتشرة فيه، وقطع مساحات واسعة من أراضيه، وأحالها إلى وسرح لقطاع المواشي وهدف مناسب لحملات التغلغل الأجنبي التي بانت تستهدف أراضي المقاطعات الفلسطينية في النصف الثاني من القرن التاسع عشر. مما دفع السلطان عبد الحميد إلى تسجيل أراضيه باسمه، ووضع سكانه تحت إجائه، وتشجيع المهاجرين منهم على العودة إلى قراهم والمساهمة في اعمارها على نفقته الخاصة، وعلى وجه التحديد المساجد والجوامع الآيلة للخراب وتبين الاكتفاء لادارة شؤون ناحيةبني حارثة التي ينتمي بها من الناحية الإدارية، والحرص على ديمومة اعمار مدينة بيسان مركز الناحية لاشعارها بالامان، والمبادرة إلى انشاء قرى جديدة^(٢)، منها ،على سبيل المثال لا الحصر، القرية التي نسبت اليه وعرفت بالحميدية^(٣)، والإتاحة من يرغب من أهالي الواقع المجاورة بالسكن فيها، وفلحة ما يرغبون به من الأرضي^(٤).

وتتضح أبعاد سياسة السلطان، في تحويل سهول غور بيسان والشفا المحيطة به إلى أملاك سلطانية في حملات الإعمار الواسعة النطاق التي تم إيفادها فيها وواكبتها عودة الحياة للموقع الريفي الآيلة للخراب، واحياء الخرائب البائدة من القرون الخالية، وازدهار مدينة بيسان بعد ان ذلت

^(١) دفتر (٣٦) عرب الشتاوية، ص ٥١٧-٥١٨. زيدان، فلسطين، ص ٩٣٢. جريدة ولاية سوريا عدد ٢٢٦/٢٢٧ م، ص ١. جريدة الكرمل عدد ٦٩٦، ١٨٨٢/٦، ص ٢. دفتر (٢١) بوقلمة طبريا، ص ١-٣٠. جنين ١٨، ص ١٣٤-١٣٥. جنين ١٩، ص ١١٨-١١٩. جريدة القدس عدد ٣٠/٩١٣، ص ١. البديري، ص ١٦١-١٦٣.

^(٢) دفتر (٣٦) عرب الشتاوية، ص ٥١٧-٥١٨. جريدة الكرمل عدد ٦٩٦، ١٩٢١/٢٢٦، ص ٢. جنين ٣، ص ٥٨. جنين ١٩، ص ١١٩-١٢٠. جنين ٣٦، ١٩، ص ٢٧. الدباغ، ج ٦، ص ٤٧٥-٤٧٦. منصور، ص ١١٧.

^(٣) جنين ١٧، ١٤، ص ١٨٩. جنين ٢٠، ص ٢٦٦-٢٦٧. الدباغ، ج ١٠، ص ٥٠٧.

^(٤) جنين ٣، ٢١، ص ٢٥، ٥٨. جنين ٥، ص ١٢٨. جنين ١٨، ص ١٣٤-١٣٥.

وتحولت إلى قرية بائسة، وإقدام القبائل البدوية المحلية على الاستقرار واحتراف الزراعة، وانهاء حالة الصراع المستشرية بينها، الأمر الذي ضاعف من اعداد المواقع المأهولة المنتشرة في جنباتها كما هو مبين في الجدول رقم (١)

جدول(١): الاوضاع العمرانية في اراضي سهول غور بيسان والشفا المحيطة به^(١)

الرقم	اسم الموقع	الحالة العمرانية
١.	مدينة بيسان	خربت ما بين ١٨٥٠-١٨٦٨ ثم أعيد إعمارها واستمرت في ذلك بالرغم من غارات القبائل البدوية الوافدة عام ١٨٧٠م.
٢.	قرية اندور	خربت عام ١٨٧٠م بفعل غارات القبائل البدوية الوافدة من البوادي الأردنية ثم أعيد إعمارها.
٣.	قرية نورس	خربت عام ١٨٧٠م بفعل غارات القبائل البدوية الوافدة من البوادي الأردنية ثم أعيد إعمارها.
٤.	قرية سمخ	خربت بفعل العوارض الطبيعية وغارات القبائل البدوية الوافدة ثم أعيد إعمارها عام ١٩٨٠.
٥.	قرية الدلهمية	خربت بفعل العوارض الطبيعية وغارات القبائل البدوية وقد ظلت خراب حتى أعيد إعمارها عام ١٨٧٢.
٦.	قرية المرصص	خربت ما بين ١٨٤٧-١٨٥٠م كما خربت عام ١٨٧٠م بفعل غارات القبائل البدوية الوافدة من البوادي الأردنية.
٧.	قرية كفره	خربت ما بين عام ١٨٤٧-١٨٧٠م بفعل العوارض الطبيعية وغارت القبائل البدوية المحلية والوافدة.
٨.	قرية دنه	خربت ما بين عام ١٨٤١-١٨٦٧م بفعل غارات القبائل المحلية والعوارض الطبيعية كما خربت عام ١٨٧٠م بفعل غارات القبائل المحلية والوافدة.
٩.	قرية المطلة	خربت عام ١٨٧٠م بفعل غارات القبائل البدوية.

^(١) دفتر (٢٨) محلولات السلطان عبد الحميد، ص-٦. جنين، ص ٣٧، جنين، ص ٣٧، جنين، ص ٥٨، جنين، ص ٤، جنين، ص ٨١، جنين، ص ٨٨، جنين، ص ٢٣٢ جنين، ص ١٦، جنين، ص ٧، جنين، ص ١١، جنين، ص ١٧، جنين، ص ١٨٩، جنين، ص ٢١١، جنين، ص ١٣٤، جنين، ص ١٣٥-١٣٤. جنين، ص ١٩، جنين، ص ٢٠، جنين، ص ٢٦-٢٦. جنين، ص ٣٦، جنين، ص ٤٠. نابلس، ص ٢٧. نابلس، ص ٨٩. دفتر(١١) تحقیقات، ص-١. دفتر(١٢) تحقیقات، ص-١-٤. جريدة العصر الجديد عدد ٢٠٥٥، ١٩١٠/٤/٩، م، ص ٤. جريدة الاتحاد العثماني عدد ٧١، كشف مزايدة، ص-١-٤٢. جريدة العصر الجديد عدد ٢٠٥٥، ١٩١٠/٤/٩، م، ص ٤. جريدة الكرمل عدد ٦٩٦، ١٩٢١/٢/٢٦، م، ص ١. جريدة البرموك عدد ٢٢، ١٩٠٨/١٢/١٦، م، ص ٤. القبس، ١٠/٩/١٩١٣، م، ص ١. جريدة الكرمل عدد ٦٩٦، ١٩٢١/٢/٢٦، م، ص ١. رستم، ٣، م، ص ٢٠٩. التميي، ص ١. الدباغ، ج ٦، ص ٤٠٢-٤٠١. الدباغ، ج ٦، ص ٥٣٩-٤٤٥. وثائق، ص ٦٣. خارطة فلسطين (سطر ٧-١٠ عموداً-ج). Conder and Kitshener, Map.

... تابع جدول رقم (١)

الرقم	اسم الموقع	الحالة العمرانية
١٠.	قرية الطيرة	خربت ما بين ١٨٤١-١٨٦٨م بفعل غارات القبائل المحلية والعوارض الطبيعية كما خربت عام ١٨٧٠م بفعل غارات القبائل البدوية الوافدة.
١١.	قرية كوكب الهوى	خربت بفعل غارات القبائل البدوية الوافدة من البوادي الاردنية عام ١٨٧٠م.
١٢.	قرية كفر مصر	خربت ما بين عام ١٨٥٠-١٨٦٩م بفعل العوارض الطبيعية وغارات القبائل المحلية كما خربت عام ١٨٧٠م بفعل غارات القبائل البدوية الوافدة من البوادي الاردنية .
١٣.	قرية سيرين	خربت ما بين عام ١٨٤٥-١٨٦٩م بفعل العوارض الطبيعية وغارات القبائل البدوية المحلية كما خربت ثانية عام ١٨٧٠م بفعل غارات القبائل البدوية الوافدة من البوادي الاردنية.
١٤.	قرية الببره	لا تزال حتى عام ١٨٧٠م خراب ولا يُعرف تاريخ خرابها على وجه التحديد ومن المرجح أنها خربت بفعل العوارض الطبيعية وغارات القبائل البدوية المحلية والوافدة.
١٥.	قرية جبول	خربت ما بين ١٨٤١-١٨٧٠م بفعل العوارض الطبيعية وغارات القبائل البدوية المحلية والوافدة من البوادي الاردنية.
١٦.	قرية الطيبة	خربت عام ١٨٧٠م بفعل غارات القبائل البدوية الوافدة من البوادي الاردنية.
١٧.	قرية قومية	خربت عام ١٨٧٠م بفعل غارات القبائل البدوية الوافدة من البوادي الاردنية.
١٨.	قرية الدحي	خربت عام ١٨٧٠م، بفعل غارات القبائل البدوية الوافدة من البوادي الاردنية.
١٩.	قرية شطه	خربت عام ١٨٧٠م بفعل غارات القبائل البدوية الوافدة من البوادي الاردنية.
٢٠.	قرية المغير	خربت عام ١٨٧٠م بفعل غارات القبائل البدوية الوافدة من البوادي الاردنية.
٢١.	قرية الخان الاحمر	خربت ما بين عام ١٨٤١-١٨٦٨م بفعل العوارض الطبيعية وغارات القبائل البدوية المحلية كما خربت عام ١٨٧٠م بفعل غارات القبائل الوافدة من البوادي الاردنية .
٢٢.	قرية فرونة	قرية جديدة نشأت بعد عام ١٨٧٠م نتيجة لحملة الاعمار.
٢٣.	قرية السامرية	قرية جديدة نشأت بعد عام ١٨٧٠م نتيجة لحملة الاعمار.
٢٤.	قرية جسر المجامع	قرية جديدة نشأت بعد عام ١٨٧٠م نتيجة لحملة الاعمار.

... تابع جدول رقم (١)

الرقم	اسم الموقع	الحالة العمرانية
٢٥.	قرية الباqورة	قرية جديدة نشأت بعد عام ١٨٧٠ م نتيجة لحملة الاعمار وتقع على الضفة الشرقية لنهر الاردن عند التقائه نهر اليرموك مع نهر الاردن وهي ضمن اراضي المملكة الاردنية الهاشمية.
٢٦.	قرية الاشرافية	قرية جديدة نشأت بعد عام ١٨٧٠ م نتيجة لحملة الاعمار.
٢٧.	قرية تل الشوك	قرية جديدة نشأت بعد عام ١٨٧٠ م نتيجة لحملة الاعمار.
٢٨.	قرية الحميدية	قرية نشأت بعد تسجيل اراضي الغور باسم السلطان وعرفت بالحميدية تياماً باسمه .
٢٩.	قرية الغزاوية	قرية جديدة استقر فيها عرب الغزاوية.
٣٠.	قرية البشتواوية	قرية جديدة استقر فيها عرب البشتواوية.
٣١.	قرية ربعة	قرية جديدة نشأت بعد عام ١٨٧٠ م نتيجة لحملة الاعمار.
٣٢.	قرية وادي البيررة	قرية جديدة نشأت بعد عام ١٨٧٠ م نتيجة لحملة الاعمار.
٣٣.	قرية مسيل الجزر	قرية جديدة نشأت بسبب استقرار عرب الزيناتي .
٣٤.	قرية بيلي	قرية جديدة نشأت بعد عام ١٨٧٠ م نتيجة لحملة الاعمار.
٣٥.	قرية عرب البواطي	قرية جديدة نشأت بسبب استقرار عرب البواطي.
٣٦.	قرية الزراعة	قرية جديدة نشأت بسبب استقرار القبائل البدوية.
٣٧.	قرية ام عجوة	قرية جديدة نشأت بعد استقرار القبائل البدوية.
٣٨.	قرية عرب الصفا	قرية جديدة نشأت بعد استقرار القبائل البدوية.
٣٩.	قرية عرب العريضة	قرية جديدة نشأت بعد استقرار القبائل البدوية.
٤٠.	قرية عرب الحمرا	قرية جديدة نشأت بعد استقرار القبائل البدوية.
٤١.	قرية عرب الفاطور	قرية جديدة نشأت بعد استقرار القبائل البدوية.
٤٢.	قرية عرب الساخنة	قرية جديدة نشأت بعد استقرار القبائل البدوية.
٤٣.	عرب الصقور	قبيلة بدوية استقرت في ديرة خاصة بها وقد فوضت القبائل اراضيها لها مجاناً من قبل الحكومة العثمانية وذلك بهدف الحد من غاراتها على المواقع الريفية المجاورة.
٤٤.	عرب الغزاوية	قبيلة بدوية استقرت في ديرة خاصة بها إلى الشمال من مدينة بيسان.
٤٥.	عرب البشتواوية	قبيلة بدوية استقرت في ديرة خاصة بها .
٤٦.	عرب صخور الغور	قبيلة بدوية استقرت في ديرة خاصة بها .

... تابع جدول رقم (١)

الرقم	اسم الموقع	الحالة العمرانية
٤٧.	عرب الهنادي	قبيلة بدوية استقرت في ديرة خاصة بها .
٤٨.	عرب البلاونه	قبيلة بدوية استقرت في ديرة خاصة بها وقد فوضت لها أراضيها مجانا من قبل الحكومة.
٤٩.	عرب الصبيح	قبيلة بدوية استقرت في ديرة خاصة بها.
٥٠.	عرب المغاربة	قبيلة بدوية استقرت في ديرة خاصة بها .

وللليلولة دون إنقاض أو اصر العمران، وتفعيلا لأراضي الحوض في الاقتصاد الوطني، وضع السلطان خطة عمل لبناء مشروع ضخم عند البوابة الجنوبية لبحيرة طبريا لري ما يقرب من (١٠) مليون دونم من الأراضي الغورية الخصبة الممتدة على ضفتي نهر الأردن بما فيها الأراضي السلطانية، وفي سبيل إنفاذها على الأرض، أوفد بعثة فنية من المهندسين لاستطلاع الأمر، إلا أن مؤامرة عزله من قبل حكومة الاتحاد والترقى قد حالت دون انفاذها^(١).

٣. سمخ

تقع عند الزاوية الجنوبية لبحيرة طبريا إلى الشرق من مجرى نهر الأردن وقد استحوذت ملكية السلطان على جميع أراضيها.

٤. الدلهمية

تقع إلى الشمال الشرقي من مصب نهر اليرموك في نهر الأردن وقد استحوذت ملكية السلطان على جميع أراضيها.

٥. سمرا

تقع على الشاطئ الجنوبي لبحيرة طبرية وقد اشتملت ملكية السلطان على جميع أراضيها.

^(١) جريدة البشير عدد ١٤٤٣، ١٩٠٠/٧/٢، ص ٣-٢. ولمزيد من الاطلاع: جريدة الحضارة عدد ٧٣، ١٩١١/٩/١، ص ٧.

٦. غور الفارعة

يقع ضمن حوض وادي الفارعة ،الذي يمتد بين سلسلة جبال قرية طمون شمالاً وسالم ودير الحطب وعمروط جنوباً ونهر الأردن شرقاً وجبل عصيره الشمالية وطلوزة غرباً^(١)، ويستحوذ على ما مساحته (١١٥٠٠٠) دونم من الأراضي الغورية الخصبة، التي تمت على جانبي وادي الفارعة، الذي يزودها بمياه عيون الباذان الغزيرة والضفة الغربية لنهر الأردن ولا تزال تحمل نفس الاسم إلى يومنا هذا^(٢)، ويشير محمود علان ضامن بركات المساعيد إلى أن جده الامير ضامن سافر إلى اسطنبول لمقابلة السلطان عبد الحميد بهدف وضع أراضي القبيلة تحت إلгائه كي تتخلص من تعسف جهة الضرائب، وبعد المقابلة تم تسجيل اراضي القبيلة باسم السلطان كما أشار إلى أن حكومة الانتداب البريطاني فوضت باسم عشيرة عرب المساعيد (١٥٠٠٠) دونم صالحة للزراعة و(١٠٠٠٠) دونم كمراعي للقبيلة، وان التسوية الأردنية لم تعرف لهم سوى بالـ (١٥٠٠٠) دونم (٢)، مما يعني ان مساحة الأرض التي سجلت باسم السلطان في غور الفارعة بلغت حوالي (١١٥٠٠٠) دونم^(٣).

٧. سهل اريحا

ويشتمل على أراضي مدينة أريحا المشمولة بال عمران والحاويات الملحة بها، والأراضي السهلية المحيطة بها، والتي تمتد بين نهر الأردن شرقاً وجبل القدس غرباً والبحر الميت جنوباً وقد استحوذت ملكية السلطان فيه على مساحة (١١٣١٧٩) دونماً من الأراضي الغورية الخصبة والغنية بالعيون والينابيع، وتمر فيها الطريق الاستراتيجي الذي يربط بين مدينة القدس وشرق الأردن. وجاء وضعه تحت إلقاء السلطان عبد الحميد نتيجة للظروف الاقتصادية والاجتماعية الصعبة التي خيمت عليه أثناء انسحاب الجيش المصري من بلاد الشام عام ١٨٤١م والذي أدى بغاراته إلى إحداث خرابٍ بمدينة أريحا، فضلاً عن إحداث حالة من حالة الاضطراب، وانعدام الامن، التي سادت المنطقة بسبب غارات القبائل البدوية المحلية منها والوافدة من البوادي الأردنية إلى أن تمكن متصرفية القدس من فرض نظام الحكم المركزي في المنطقة عام ١٨٦٤م، وما وآكبه من حملة إعمار واسعة للمواقع

^(١) نابلس ٤٥، ص ٥٧-٥٨ - جولة ميدانية، ١٢/٢٥ م٢٠٠٠/٥٨ Conder and Kitchener, Map ١٢/٢٥. مقابلة شخصية محمود علان بركات المساعيد، ٧٥ سنة، قرية الجفتلك، ٢٠٠٢/١١..

^(٢) مقابلة شخصية، محمود علان ضامن بركات المساعيد، ٧٥ سنة، قرية الجفتلك ١١/١١ م. البدربي، ص ١٤٨.

^(٣) مقابلة شخصية، محمود علان ضامن بركات المساعيد، ٧٥ سنة، قرية الجفتلك، ١١/١١ م. ٢٠٠٢/١١.

المأهولة المدنية والريفية ودفع القبائل البدوية نحو الاستقرار^(١)، ونتيجة لذلك أخذت الحياة تدب في مدينة أريحا التي نعتها السجلات "قرية" أريحا من جديد^(٢).

٨. الغيبة

تقع قرية الغيبة ضمن ديرة عرب التركمان الممتدة في الاطراف الشمالية الغربية من سهل مرج بني عامر، إلا أن المصادر المعاصرة لم تزودنا بأية إشارة تدل على حجم الأراضي التي شملتها ملكية السلطان عبد الحميد فيها^(٣).

٩. زلفة

تقع على بعد (١٩) كم إلى الشمال من مدينة جنين، إلا أن المصادر المعاصرة لم تزودنا بأية إشارة تدل على حجم الأراضي التي شملتها ملكية السلطان عبد الحميد فيها^(٤).

١٠. تل عراد

يقع إلى الجنوب الشرقي من مدينة الخليل ويشمل على (٢٠٠٠٠) دونم وقد تم الاستيلاء عليه من قبل وكلاء السلطان عام ١٩٠٠م وذلك بهدف وضع حد للحروب الدموية على ملكيتها بين أهالي قرية يطه التابعة لقضاء الخليل، وعرب الظلام من ملحقات قضاء بئر السبع^(٥).

١١. زور الزرقاء

ويمتد على ضفتي وادي الزرقاء السفلي، الذي يحمل مياه الأمطار الهاطلة على أراضي قرى الكفرین، والبطينات، وخبيزه، وام الشوف، وصبارين، والسنديانة، ويتبع سيره في السهل الساحلي إلى أن يصب في البحر الأبيض المتوسط على بعد (٦) كم إلى الشمال من قيسارية^(٦)، وقد امتلك السلطان

^(١) قارن بين كل من التالية:- القدس، ٤٠٧، ص ٢٤٦. القدس، ٣٨٠، ص ١-٢، ٨، ١٠-٩، ٢٨-٢٧. القدس، ٣٩٢، ص ١٧٣. القدس، ٣٩٣، ص ٩٨. القدس، ٣٩٧، ص ١٧٩-١٨٠. القدس، ٣٩٩، ص ٩٣-٩١. القدس، ٣٢٨، ص ٥٠. القدس، ٣٣٧، ص ٤٠. جريدة اليرموك عدد ٣٩، ١٩٢٥/١٢٢، ص ٢. جريدة اليرموك عدد ٤٠، ١٩٢٥/١٢٥، ص ١.

Kenneth,P.14.1

^(٢) القدس، ٣٢٨، ص ٥٠. القدس، ٣٧٧، ص ٤٠.

^(٣) غنائم، ص ٣١٢-٣١١. خارطة فلسطين (سطر ٨ عمود، و).

^(٤) جنين، ١٣، ص ٨٠. جنين، ١٤، ص ٧٧. الدباغ، ج ٥، ص ١٨٦. خارطة فلسطين (سطر ٩ عمود، و).

^(٥) العارف، بئر السبع، ص ١٩٤-١٩٦. الخليل، ٢٤، ص ٩٣. خارطة فلسطين (سطر ٢٣ عمود، و).

^(٦) الدباغ، ج ١١، ص ٤٦٤. خارطة فلسطين (سطر ٩، عمود ح)

جميع أراضي الزور، بما فيها المستقعات التي كانت تتشكل بفعل فيضانات، الوادي عقب الامطار الغزيرة وتسسيطر على مساحات واسعة منه والكتبان الرملية المتاخمة لأراضي الزور الممتد على شاطئ البحر التي تعرف بـ "برة قيسارية"^(١) وتستحوذ على مساحة (١٤٦٠٠٠) دونم^(٢).

١٢. جفتلك يافا

ويقع إلى الجنوب الشرقي من مدينة يافا، على مقربة من قرية قزاره، ولم تزودنا دفاتر الطابو بمساحة أراضيه التي غالباً ما نعتها بعبارة "أراضي الزات الشاهانية"^(٣).

١٣. المحرق

تقع على بعد (١٨) كم إلى الشرق من مدينة غزة، ولا تتوافق لدينا بيانات مفصلة حول مساحتها، وكل ما زودتنا به جريدة الدفاع في عددها الصادر عام ١٩٣٦م أن ورثة السلطان سعوا لإثبات حقوقهم فيها بموجب سند تصرف "قوجان" يشتمل على (٤٥٨٠) دونماً^(٤).

١٤. قرية رفح

تقع في أقصى الساحل الفلسطيني عند الحدود المصرية على بعد (٣٨) كم إلى الجنوب من مدينة غزة وتستحوذ أراضيها على مساحة (٤٠٥٧٩) دونماً، وقد تم إلهاصها باراضي الجفتلك السلطاني بهدف الوقوف أمام النفوذ البريطاني المتزايد يوماً بعد يوم في صحراء سيناء، والذي وصل ذروته عام ١٩٠٦م وانتهى بترسيم الحدود بين مصر من جهة وفلسطين من جهة أخرى^(٥).

وبموجب ما تقدم نخلص إلى نتيجة مؤداها أن مساحة أراضي الجفتلك السلطاني في فلسطين قد بلغت حوالي (٢٠٣) مليون دونم كما هو مبين في جدول رقم (٢).

^(١) جريدة المنادي عدد ٧٢، ١٧/٧/١٩١٣م، ص ٢. جريدة البشير عدد ٢٢٨١، ١٨/٧/١٩١٣م، ص ١. وثائق، ص ٢٤٢-٢٤٣.

^(٢) ٣٦٠. غاليم، ص ٣١١-٣١٢.

^(٣) الشهادات السياسية، ص ٤٦-٤٧. وثائق، ص ٢٤٢-٢٤٥.

^(٤) دفتر (١٦) دائمي، ص ١-٣.

^(٥) جريدة الدفاع عدد ١٠١٠٩٩٤، ٤/١١/١٩٣٧م، ص ٢، ٧. عدد، ١٩/١١/١٩٣٧م، ص ٤. خارطة فلسطين

(سطر ٢١، عمود، ك)

^(٦) نعم بك، ص ٥٩٧-٥٩٦. الدباغ، ج ٨، ص ٣٠٤. خارطة فلسطين (سطر ٢٣، عمود، هـ)

جدول (٢): مساحة أراضي الجفتل السلطاني في فلسطين^(١)

الرقم	اسم الموقع	المساحة/دونم	ملاحظات
١.	حوض الحولة	٩٤٢٨٠٠	بما في ذلك أراضي المستنقعات وبحيرة الحولة.
٢.	غور بيسان	١٠٠٠٠٠	ويشتمل ذلك على أراضي السهل والشفا المحيطة به.
٣.	وادي الفارعة	١٢٠٠٠	(١٥٠٠٠) دونم زراعية والبقية الأخرى مراعي.
٤.	سهل اريحا	١١٣١٧٩	بما فيها مدينة أريحا.
٥.	تل عراد	٢٠٠٠	جميع أراضي التل المتنازع عليها.
٦.	المحرقة	٤٥٨٠	من المرجح أنها اشتملت على جميع أراضي القرية.
٧.	رفح	٤٠٥٧٩	من المرجح أنها اشتملت على جميع أراضي القرية.
٨.	برة قيسارية	١٠٠٠٠	ومنحتها حكومة الانتداب للحركة الصهيونية.
٩.	زور الزرقاء	٤٦٠٠	بما فيها أراضي المستنقعات.
١٠.	الدلهمية	(٤)	اشتملت على جميع أراضي القرية.
١١.	سمخ	(٤)	اشتملت على جميع أراضي القرية.
١٢.	سمرا	(٤)	اشتملت على جميع أراضي القرية.
١٣.	الغيبة	(٤)	اشتملت على جميع أراضي القرية.
١٤.	زلفة	(٤)	اشتملت على جميع أراضي القرية.
١٥.	يافا	(٤)	تقع بالقرب من قرية قرازة جنوب شرق يافا.
المجموع			٢٣٨٧١٣٨
بالإضافة إلى المواقع (١٥ - ١٠)			

ثالثاً: تحولات الملكية**١. حل الملكية**

أُجبر السلطان عبد الحميد الثاني على التنازل عن جميع أراضيه المنتشرة في الإمبراطورية العثمانية عام ١٩٠٨م من قبل المعارضة إلى خزينة الدولة وكان ذلك بعد أن أعاد العمل بالدستور

^(١) دفتر (١٦) دائمي، ص ١. دفتر (٣٦) بوقلمة عرب البشتواوية، ص ١. دفتر (٢١) بوقلمة طبريا، ص ١. جنين ١٣، ص ٨. جنين ١٤، ص ٧٧. جنين ١٩، ص ١١٩-١١٨. نابلس ٤٠، ص ٩-٨. نابلس ٤٥، ص ٥٨-٥٧. جريدة ولاية سوريا عدد ٩٣٢/٧/٢٦، ١٨٨٣م، ص ١. جريدة الكرمل عدد ٦٩٦، ٢٦/٢/١٩٢١م، ص ٢. جريدة الدفاع عدد ٩٩٤/٤، ١٩٣٧/١١/٤م، ص ٢، ٧. زعيتر، وثائق، ص ٢٤٢-٢٤٥. قاسمية، ص ١٨٢. الحزماوي، ص ٧٣-٧٢. البديري، ص ٣٦٠، ٣١١، ١٤٨. غنابي، ص ٢٠٠٣، ١٧.

العثماني المجمد منذ عام ١٨٧٦م، وذلك بموجب إرادتين سلطانيتين عام ١٩٠٨م، مقابل مليون ليرة عثمانية تدفع من الخزينة لتسديد ديونه الخاصة^(١) مما يعني أنها بقيت بيد الخزينة وان المليون ليرة مجرد مبلغ رمزي لا يعكس الاتمان الحقيقة للأرض وامتلاك السلطان لها ملكية شخصية أو فردية.

ومنذ تنازل السلطان عنها أصبحت تعرف باسم الأرضي المدور أي المنتقلة أو المحولة بدلاً من الجفتلك السلطاني^(٢)، وأصبحت دوائرها ومديرياتها تعرف باسم ”الأرضي المدور“^(٣) ومما لا شك فيه أن وضعها تحت إجاء السلطان عبد الحميد، بهدف تثبيت اركان العمران، ودفع عجلة الاستثمار فيها، وحمايتها من الأطماع الأجنبية لم يخرجها من قبضة الخزينة. بل كان ذلك هو تأكيد على أنها أراضي أميرية ملك للخزينة وان مزارعتها وفلاحتها، ونقل حقوق التصرف فيها حقاً كان من حقوق رعاياه. وقد بدأ ذلك يترسخ بمرور الزمن، والتقادم، ووجب عليه حمايتها والشهر على شؤونهم بموجب القواعد الفقهية ولهذا لم نلمس أية اشارة تدل على انه اقطع خاصته أو باع متراً واحداً منها، أو جنح إلى وقفها على ذريته، أو وجوه الخير بهدف تثبيت حقوق التصرف برقبتها، والحلولة دون مصادرتها من جانب الخزينة في المستقبل أو تبديدها من جانب الورثة^(٤).

وعلينا أن نؤكد أن خروجها من قبضة السلطان الاسمية وبقاءها في يد الخزينة لم يخرج حقوق التصرف بها من يد مزارعيها، شأنها في ذلك شأن بقية الأرضي الأميرية التي لم تلحق بالجفتلك السلطاني، وبالتالي فقد كان من حق مزارعيها الذين استمروا في فلاتحتها وإعمارها ما يفوق الـ(٣٠) عاماً، أن يطالبوا الخزينة بتسجيلها باسمائهم من جديد، بدلاً من اسم السلطان، كما كانت اول مرة، عملاً باحكام وقوانين الأرضي العثمانية السارية المفعول منذ عام ١٨٥٨م، والقضائية بتفويض الأرضي الأميرية للفائمين على فلاتحتها إذا مضى على فلاتحهم لها مدة عشر سنوات دون منازع ويدفعون الواجبات الضريبية عليها^(٥).

^(١) الشهابي، بحث، ص ٥٤٥، الليرة العثمانية = (٤٠) قرش والقرش = (١٠٠) بارمة حسب سعر الصرف: أبو بكر، ص ٢٠.

^(٢) جنين ٣، ص ٥٨. جنين ١٨، ص ١٣٤-١٣٥.

^(٣) جنين ١٩، ص ١١٨-١١٩.

^(٤) جنين ١٦، ص ٧-١١.

^(٥) المقتبس عدد ٥٠٢٠، ١٩١٠/١٠/١٩، ص ١.

وبالرغم من سقوط مظلة السلطان الاسمية عن أراضي الجفتاك، إلا أن الحكومة الاتحادية لم تعرف بحقوق المزارعين فيها، ورأت فيها سلعة رائجة من مخلفات السلطان السابق^(١) فحولت اسماء الدواير التي كانت تشرف عليها وتعرف بمديريات الجفتاك السلطاني^(٢) إلى مديريات الأراضي المدورة^(٣)، وأخذت تتحين الفرص المناسبة لطرحها في المزاد العلني لبيعها على اعتبار أنها أصبحت من ممتلكات الخزينة، متزرعة بعجز ميزانيتها وضخامة مداليونيتها^(٤) وبيعها لشركات كبرى قادرة على استثمارها، وتجفيف المستنقعات المنتشرة فيها وبالتالي وضع حد لاوكار الملاريا التي الحقت الازدي بالسكان وزيادة فعالية انتاجها في الجهاز الضريبي واستغلال منابع نهر الأردن وشلالاته في توليد الطاقة الكهربائية^(٥) إلا أن مقاومة المزارعين لمثل هذه التطلعات، وارتفاع فتيل الحرب العالمية الأولى، ودخول الدولة طرفا فيها قد جمد امر النظر فيها إلى حين حيث قررت استلاف^(٦) ٤٠ مليون ليرة فرنسية لانفاقها على الأرض ثم بيعها إلى العثمانيين^(٧).

وبموجب احكام تنظيمات الأراضي العثمانية، وحقوق التصرف التي في أيديهم طالب المزارعون الحكومة الاتحادية، التي استبدت بالأمور بعد تحييطة السلطان عن سدة الحكم، بحقوقهم الشرعية في الأرض بمجرد أن زالت عنها مظلة الحماية الاسمية التي احاطتها بها السلطان عبد الحميد، ولم يتذانوا عن رفع العرائض إلى العاصمة بذلك وتشكيل لجان الدفاع عن حقوقهم، وعقد المؤتمرات لتدارس الأمور، ونشر تظلماتهم وبياناتهم ومطالبهم على صدر صفحات الصحف الصادرة في المقاطعات الفلسطينية والولايات العربية^(٨).

وبعد رحيل الحكم العثماني عن المقاطعات الفلسطينية استمروا في مطالبهم لسلطات الاحتلال البريطاني، ومما يؤيد ذلك التقرير الذي رفعه مفوض لجنة الدفاع عن أراضي غور بيسان ودينع

^(١) القدس، ٣٩٢، ص ١٧٣.

^(٢) القدس، ٤٠٧، ص ٢٤٦. القدس، ٤٠٩، ص ١٨٠. الخليج، ٢٤٤، ص ٩٣.

^(٣) جريدة العصر الجديد عدد ١١٣/١٢/١٥، ١٩٠٩م، ص ٣ جريدة الحضارة عدد ٧٣، ١٩١١/٩/١، ص ٧.

^(٤) الليرة الفرنسية = ليرة عثمانية أو (١٠٠) قرش عثماني والقرش = (٤٠) باره حسب سعر صرف السوق: جريدة المفيد عدد ٥٢٨، ١١/٢٧، ١٩١٠م، ص ٣. المفيد ٥٤٣، ١٩١٠/١١، ص ١-٢. المفيد ٥٤٤، ١٦، ١٩١٠/١١، ص ١. جريدة فلسطين عدد ٢٥١، ١٩١٣/٧/٥، ١٩١٣م، ص ٢. فلسطين عدد ٢٦١، ١٩١٣/٨/١٩، ١٩١٣م، ص ٣. فلسطين عدد ٢٦٤، ١٩١٣/٨/٢٠، ١٩١٣م، ص ٣. الحزماوي، ص ٢٥١، أبو بكر، ص ٢٠.

^(٥) جريدة الكرمل عدد ٦٩٦، ١٩٢١/٢/٢٦، ١٩٢١م، ص ٢. جريدة الكرمل عدد ٧٤٥٧، ١٩٢١/٩/٧، ١٩٢١م، ص ٤. جريدة الكرمل عدد ٧٤٧٧، ١٤/٩/١٤، ١٩٢١م، ص ٤. جريدة المقتبس عدد ١٢٩٨، ١٩١٣/٩/٢٢، ١٩١٣م، ص ٢. الحزماوي، ص ٢٥١.

البستاني، والذي نشر في صحيفة الكرمل يوم ٧ ايلول من عام ١٩٢١م والذي جاء بالصيغة التالية:-
 ثم إنه لا يبرح عن الذهن أن هذه الأراضي ليست رسمياً موسومة أراضي حكمة، بل إنها ليست إلا
 أراضي مدورة أي بطلت عنها دعوى عبد الحميد الذي سجلت باسمه في وقته وغير قانونية، وبرهانه
 أنه حتى هذه الساعة ليس في سجل الطابو إلا اسم عبد الحميد والحكومة السابقة لم تسع لتسجيلها فيه
 كأراضي الحكومة، بل عكس ذلك إنها كانت تتظر في تسجيلها على أسماء المتصرفين الفعليين ثانية
 لطلبهم ولما كانت هذه الأرضي مدورة فليس للحكومة ان تتصرف بها إنها أراضي حكمة
 لا نزاع فيها تؤجرها وتبعها لمن تشاء، أو لمن يزيد على غيره دفعا.....^(١).

٢. التغلغل الاجنبي

ساهم التغلغل الاجنبي في أراضي الإمبراطورية العثمانية بعامة والفلسطينية بخاصة مساهمة
 فاعلة في دفع السلطان عبد الحميد على وضع الأرضي المستهدفة تحت حمايته وبذلك وضع حد
 للحملات التي كانت تستهدفها، وما أن تنازل عنها حتى غدت محط اهتمام الجمعيات والشركات
 الاجنبية مرة أخرى، وفي مقدمتها الحركة الصهيونية. ومما يؤيد ذلك عروض الشراء والامتيازات
 التي تقدمت بها الشركات والجمعيات الأجنبية إلى وزارة المالية منذ عام ١٩٠٨م، وحتى اشتعال فتيل
 الحرب العالمية الأولى واستطاعت من خلال حاجة الدولة للأموال بسبب عجز الميزانية التأثير على
 الحكومة العثمانية تحت وطأة الإغراء المادي، وإيجاد تكفل ضاغط يعمل لصالحها في أوساط الحكومة
 الاتحدية من امثال وزير المالية جاويد بك، وربما لاتبالغ اذا قلنا إن العاصمة اسطنبول قد غدت بين
 الاعوام ١٩١٤-١٩٠٨م ملذا مناسباً لمندوبي الشركات والسماسرة الطامعين في السيطرة على
 الأرضي السلطانية^(٢).

وفي إطار حملات التغلغل الاجنبي الذي تعرضت لها أراضي الجفتل السلطاني المنتشرة في
 الإمبراطورية العثمانية بعامة والمقاطعات الفلسطينية وخاصة، غدت تلك الأرضي محط اهتمام الحركة
 الصهيونية، ومشاريعها الاستيطانية وفي سبيل الالتفاف على الحكومة العثمانية وانظمتها، وعدم اثاره
 الرأي العام العثماني والعربي اخذت بتنفيذ اهدافها الاستعمارية من خلال احد سamasرتها

^(١) جريدة الكرمل عدد ٧٤٥، ١٩٢١/٩/٧، ص.٤.

^(٢) جريدة المقيد عدد ٥٢٨، ١٩١٠/١٠/٢٧، ص.٣. جريدة فلسطين عدد ٢٦١، ١٩١٣/٩، ص.٣. فلسطين عدد ٢٦٤، ٢٦٤، ١٩١٣/٨/٢٠

٢٠٠٣، ١٧ (١)، المجلد ، العلوم الإنسانية، (السجاح للأبحاث)، جامعة جامدة

المتمتعين بالجنسية العثمانية من أهالي بيروت ويعرف بـ "نجيب الأصفر" الذي كان يمتلك شركة مسجلة في بلجيكا وتتمتع برأسمل ضخم وتحظى بدعم المؤسسات الصهيونية^(١).

وتحت عنوان "أرضي الأمة" عرضت جريدة المقتبس الدمشقية في افتتاحيتها، المخاطر التي تتطوي على مشروع نجيب الأصفر في حالة استجابة الحكومة لعروضه حيث أكدت "أن الدافع لنجيب أفندي إلى هذا شركة بلجيكية تعتصمها الجمعية الصهيونية ذات المطامع الكبيرة في بلاد السلطنة عامه فلسطين خاصة....."^(٢) ووافقتها في ذلك جريدة المفید البيروتية التي بينت أن هدف المشروع الأساسي "استعمار الاقاليم المترامية الاطراف وعمرانها بالماهجرين من الإسرائيليين الذين تالت منهم هذه الشركة التي هي نسخة صحيحة عن الجمعية الصهيونية"^(٣) وعلى غرارها أخذت الصحف المحلية الصادرة في المقاطعات الفلسطينية توضح المخاطر التي تتطوي على المشروع في فلسطين والسبل الكفيلة بمقولته، وفي مقدمتها جريدة فلسطين والكرمل^(٤).

ويقوم مشروع الأصفر على أساس الحصول على امتياز من الحكومة باستغلال أراضي الجفالة السلطاني المنتشرة في الإمبراطورية العثمانية مقابل أجرة سنوية (١٠٠٠٠) ليرة عثمانية^(٥) وهي قيمة قليلة اذا ما قورنت بمساحتها ومنتجاتها الغزيرة وفرض بقيمة (٤) مليون ليرة عثمانية يتم اقتطاعها من ثمن الأرض في المستقبل^(٦) إلا أن المعارضة الشعبية التي واجهت المشروع حالت دون منح الامتياز بالرغم من الضائق المالية التي كانت تعاني منها الخزينة العثمانية^(٧) وكانت المعارضة في دعواتها المتعالية من يوم آخر تحذر من مخاطر النفوذ الاجنبي مع التاكيد على ضرورة منحها لشركات وطنية أو توزيعها على مزارعيها مقابل بدل نقدي محدد يتم دفعه على اقساط ميسرة^(٨) وعدم

^(١) جريدة المفید عدد ٥٤٣، ١٩١٠/١١/١٥، عدد ٥٤٤، ١٩١٠/١١/١٦، عدد ٥٤٥، ١٩١٠/١١/١٥. جريدة المقتبس عدد ٥٠٢، ١٩١٠/١٠/١٩، ص ١. دروزة، م، ص ١٩٩.

^(٢) جريدة المقتبس عدد ٥٠٢، ١٩١٠/١١/١٩، ص ١. انظر ايضاً البديري، ص ١٠٩.

^(٣) جريدة المفید عدد ٥٤٣، ١٩١٠/١١/١٥، ص ١٠٩.

^(٤) جريدة فلسطين عدد ٢٦١، ١٩١٣/٨/٩، ص ٣.

^(٥) الليرة العثمانية او العثمانية: وهي أعلى وحدة نقد عثمانية متداولة وتساوي (١٠٠) فرش و القرش يساوي (٤٠) باره: انظر أبو بكر، ص ٢٠.

^(٦) جريدة المقتبس عدد ٥٠٢، ١٩١٠/١١/١٩، ص ١.

^(٧) جريدة المقتبس عدد ٥٠٢، ١٩١٠/١٠/١٩، ص ١. جريدة القبس عدد ١، ١٩١٣/٩/٣٠، ص ١. دروزه، م، ص ١٩٩.

^(٨) جريدة فلسطين عدد ٢٦١، ١٩١٠/٨/٩، ص ٣. فلسطين عدد ٢٥١، ١٩١٣/٧/٥، ص ٢.

التهاون في مقاومة المشاريع الأجنبية وحشد الطاقات واستهلاض هم السكان والوقوف وقفه رجل واحد أمام المخططات الاستعمارية تحت عنوان "احتياج على المشروع الأصفر" اشارت جريدة المفيد البروتية أن "أهالي" نواحي الحولة التابعة لقضاء مرجعيون سيحتاجون للمرابع الإيجابية عن المشروع الأصفر الذي من جراءه يقوى نفوذ الأجنبي في البلاد ويمتص مواردها الاقتصادية فضلاً عما يجره من المشاكل السياسية التي لا تحصى. وقد صرحت وجهاء تلك البلاد أنهم مقاومون لهذا المشروع بكل قواهم وعلى أهالي سوريا أن يحتاجوا على هذا المشروع ويجمعوا أمرهم على رفضه كما فعل أهل بغداد والروملي^(١).

ومع عودة جمعية الاتحاد والترقى إلى سدة الحكم ثانية، بعد الإطاحة بحكومة حزب الحرية والائتلاف اخذت المشاريع الأجنبية بمزاولة نشاطها من جديد، وتوافق هذا مع حاجة الدولة للأموال وإقامها على طرح ما يقرب من (١٠٨) مليون دونم من أراضي الجفتلك السلطاني الممتدة في بلاد الشام منها (٣٩٠) ألف دونم من أراضي بيسان و(٦٥٠٠) دونم في زور^(٢) الزرقاء في المزاد العلني^(٣). ومن المشاريع الاستعمارية التي عاد نشاطها من جديد مشروع نجيب الأصفر وأخيه سليم الأصفر هو المشروع الذي أصبح يعرف باسم "الأصفرین"، وكان يركز في نشاطه على أراضي الجفتلك السلطاني بشكل عام، وحوض ال涸لة وغور بيسان بشكل خاص^(٤).

وقد وقع خبر عرض بيع أراضي الجفتلك السلطاني في المزاد على سكان المقاطعات الفلسطينية وقع الصاعقة، فبادروا، على وجه السرعة، إلى عقد الاجتماعات واصدار العرائض التي تستذكر اجراءات الحكومة وتحث الناس على التصدي لها بكل قوة^(٥). الا أن ردة الفعل الشعبية العارمة التي اجتاحت الولايات العربية إزاء المداولات الحثيثة التي كانت تجري بين الحكومة الاتحادية والشركات الأجنبية، وسماسرة الحركة الصهيونية الجادة حول إبرام عقود البيع والشراء والامتيازات الخاصة

^(١) جريدة المفيد عدد ٥٢٨، ١٠/٢٧، ١٩١٠م، ص. ٣.

^(٢) الزور: الأراضي الممتدة على ضفتي النهر وتتميز بالخصوبة وكثافة الغطاء النباتي الذي يكتنفها وعلى وجه التحديد عند مجرى النهر حيث تتغاضى عليها نباتات القصب والبردي والدقهلة والخور والسعيدة وغيرها من النباتات البرية ومواضع تشكل المستنقعات في مناطق المنخفضات أما المناطق الزراعية فتتميز بكثافة الإنتاج: جولة ميدانية، ٢٠٠١/١٠/٣٠م.

^(٣) جريدة المنادي عدد ٧٢، ١٧/٧/١٩١٣م، ص. ٢. جريدة البشير عدد ٢٢٨١، ١٨/٧/١٩١٣م، ص. ١.

^(٤) جريدة المقتبس عدد ٢٦١، ٥/٨/١٩١٣م، ص. ١. جريدة البشير عدد ٢٢٨١، ١٨/٧/١٩١٣م، ص. ١.

^(٥) جريدة المفيد عدد ٥٢٨، ٢٧/١٠/١٩١٠م، ص. ٣. جريدة فلسطين عدد ٢٦١، ٩/٨/١٩١٣م، ص. ٣. زيدان، ص ٥١٧-٥١. قاسمية، ص ١٨٠-١٨٢. دروزه، م ١، ص ١٩٩.

بالأراضي الأميرية والمحلولة قد حملت الحكومة على التراجع عن سياستها بحق الأراضي السلطانية والأميرية العازمة على بيعها، والاستجابة لمقتررات المعارضة التي كانت تدور حول تشكيل شركات عثمانية لاستثمارها أو منحها لمزارعيها بالتقسيط طويل الأجل^(١) وبذلك تم منح امتياز تجفيف مستنقعات الحولة إلى مشيل إبراهيم سرق، وسليم سلام، وأحمد بيهم، من لبنان عام ١٩١٤ ووقع الامتياز كل من محمد عمر بيهم، ومشيل سرق باليابا عن أصحاب الامتياز وجاويد بييك ممثلاً عن الحكومة العثمانية، واشتملت مساحة الامتياز على نحو (٥٧٠٠٠) دونم^(٢).

وقد أظهر المزارعون المقيمون في حوض الحولة معارضة شديدة للامتياز حيث طالبوا الحكومة بالغائه ومنحه لهم بموجب حق الشفعة ومبادرتهم إلى تجفيف (١٠٠٠٠) دونم منها إلا أن اندلاع الحرب العالمية الأولى حال دون متابعتهم للمطالب، بينما توافت أعمال التجفيف من قبل أصحاب حق الامتياز بسبب الحرب، وللحليلة دون فقدان حق الامتياز نقدموا إلى والي بيروت عزت بييك في ١٥ إيلول من عام ١٩١٥م يطلبون فيه تمديد مدة العطاء وقد وافق على تمديده إلى ما بعد الحرب شريطة أن تبدأ المهلة المنصوص عليها في الاتفاق من يوم انتهاء الحرب^(٣).

ومن الجدير بالذكر أن انسحاب القوات العثمانية من المقاطعات الفلسطينية ودخولها تحت الاحتلال البريطاني عام ١٩١٨/١٩١٧م قد فتح الباب على مصراعيه أمام المشروع الصهيوني الذي كان يستهدف أراضي الجفتاك السلطاني، وقد سعت الحكومة البريطانية إلى إيجاد مسوّغ قانوني لوضع يدها على أراضي الجفتاك السلطاني، ومن ثم تسليمها للحركة الصهيونية وذلك من خلال المادة (٦٠) من معاهدة لوزان عام ١٩٢٣م التي أبرمتها مع الحكومة التركية، وأكدت في مضامينها على أن "تحل الدول المنسلخة عن الإمبراطورية العثمانية مكان تلك الإمبراطورية في امتلاك كل ما يعود لها خصوصاً ما كان تنازل عنه السلطان عبد الحميد لخانتها"^(٤).

وبموجب أحكام معاهدة لوزان، وضعت الحكومات العربية الناشئة في كل من العراق، وسوريا، والأردن يدها على أراضي الجفتاك السلطاني، أما فلسطين، التي حسم أمرها في الانتداب البريطاني المشروع بتتنفيذ صك وعد بلفور، فقد بادرت السلطة البريطانية إلى وضع يدها على أراضي الجفتاك

^(١) البديري، ص ١٠٩.

^(٢) جريدة الجهاد عدد ١٧٠، ١٩٣٩/٨/١٨، ص ١-٧. الحزماوي، ص ٢٤٨-٢٤٩. قاسمية، ص ١٨٢.

^(٣) الحزماوي، ص ٢٥١.

^(٤) الشهابي، بحث، ص ٥٤٤-٥٤٦.

بصفتها الوريث الشرعي للحكومة العثمانية، وعملاً بذلك شرعت بحصراًها في المقاطعات الفلسطينية من خلال الحكم العسكريين، ودوائر الطابو حيث عممت دوائر الطابو إلى إعداد جداول مفصلة بناء على دفاتر الطابو العثمانية المحفوظة لديها، ففي عام ١٩٢٠م، على سبيل المثال لا الحصر، أصدر الحاكم العسكري العام أوامر إلى دائرة طابو جنين بضرورة رصد أراضي الجفتلك المنتشرة في أراضي القضاء التابع لها، وعملاً بذلك تم إعداد قوائم مفصلة بأراضي الجفتلك الممندة في ناحيةبني حارثة الشمالية، وذلك بالاستناد إلى دفاتر الضبط العثمانية المحفوظة في الدائرة وأصدرها تحت اسم "سجل مخطوطات باسم السلطان عبد الحميد، "ومذيلاً بعبارة "صار استخراجه من دفاتر الضبط الأصلية في ٢٦ أيلول ١٩٢٠م طبق الأصل مأمور طابو جنين"^(١).

وازاء السياسة المنحازة للحركة الصهيونية التي تسعى إلى نقل مساحات واسعة من الأراضي الخصبة التي تشكل عmad الاقتصاد الوطني الفلسطيني إلى أيدي الحركة الصهيونية قوبلت الاجراءات البريطانية بمقاومة شديدة من قبل المزارعين القائمين على زراعتها ففي يوم الجمعة ١٨ شباط من عام ١٩٢١م عقد ممثلو عموم سكان الموضع الغوريه وشفا الغوريه المحبيطة بسهل بيسان اجتماعاً حافلاً في مدينة بيسان و"تعاهدوا بالإيمان على بذل الغالي والرخيص في سبيل الاحتفاظ بوطنهم..... والدفاع عن حقوق سكان الغور والشفا في أراضيهم وعن مصالحهم الوطنية....." وسطرواها في وثيقة عهد وقع عليها جميع المندوبين من المسلمين وال CHRISTIANS وتم نشرها على صدر صفحات جريدة الكرمل الصادرة في مدينة حيفا^(٢).

وقد سعت السلطات البريطانية إلى الالتفاف على مطالب لجنة الدفاع عن الأراضي الغورية من خلال اعترافها بحقوق موكليها من المزارعين، وذلك من خلال السماح لهم بفلاحتها، على أساس عقود إيجار يتم إبرامها معهم، إلا أن لجنة الدفاع أصرت على مطالبتها بالحقوق الشرعية للمزارعين غير منقوصة، وهو ما دفع السلطات البريطانية إلى الاستجابة لمطالب اللجنة وإبرام "اتفاقية بيسان غور المدورة" معها في ١٩ تشرين الأول من عام ١٩٢١م، وبموجبها أقرت بحقوق مزارعين (١٨) قرية و(٤) قبائل بدوية في (٣٨٢٩٨٦) دونم من أراضي الغور، وهي مدينة بيسان، وقرية سيرين، وسمرا، وسمخ، ودنه، والطيرة، وكفر مصر، وكفره، وكوكب، الهوى، والمطلة، وجبول، وبيلى، والبيره، والمرصص، والسamarie، والأشرفية، وتل الشوك، وجسر الماجمع، والغزاوية، والشتاوية، والصقر،

^(١) دفتر (٢٨) مخطوطات باسم السلطان عبد الحميد، ص ١-.

^(٢) جريدة الكرمل عدد ٦٩٦، ٢٦/٢/١٩٢١م، ص ٢. أبو بكر، ص ٥٦٢.

والبلونة بالإضافة إلى غور الفارعة^(١) وقد مثل المزارعين فيها وديع البستاني رئيس لجنة الدفاع عن الأراضي بينما مثل السلطات البريطانية المحتلة الميجر البرت إبرامسون مدير دائرة الأراضي في حكومة الانتداب^(٢) كما أكد محمود علان ضامن بركات المساعيد من أهالي الجفتاك أن حكومة الانتداب قامت بتقويض ما يقرب من (١١٥٠٠) دونم لعشيرة المساعيد منها (١٥٠٠٠) دونم صالحة للزراعة، وذلك مقابل (١٥) دينار ذهب لكل دونم في حين سجلت (١٠٠٠٠) دونم الأخرى مراعي باسم العشيرة، وقد مثل العشيرة في مطالبتها وديع البستاني مقابل (٥٠٠) دينار^(٣).

وفي ظل الهدوء الذي أعقب إبرام اتفاقية أراضي الغور، انطلقت أيدي السمسارة في الخفاء لنقل أراضيه إلى الحركة الصهيونية، وبموجب ذلك تم نقل أراضي كل من قرية سيرين، وكفر مصر، وعرب الصقر، للحركة الصهيونية^(٤) كما سعت حكومة الانتداب عام ١٩٣٥م، بكل جد إلى سحب امتياز تجفيف بحيرة الحولة من الشركة السورية العثمانية الزراعية المحدودة، وقد اثارت في مفاوضاتها مع أصحاب حق الامتياز أن هناك شركة إنجلزية راسمالها (٤٥٠) ألف جنيه يتقاسمها العرب والإنجليز سوف يشنون باقامة أربع مزارع في أراضي الحولة، وأن المشروع قد حصل على موافقة وزارة المستعمرات البريطانية، في حين أخذت تضغط باتجاه التنازل عن الامتياز لصالح شركة تطوير الأرضي الفلسطينية التابعة للحركة الصهيونية التي أطلق لها العنوان في أراضي حوض الحولة وظلت تدعى أنها لن تخرج أية مزارع منها^(٥).

^(١) الحزماوي، ص ٧٣-٧٢. خارطة فلسطين (سطر ٨-١٠ عمود، بـ٤).

^(٢) وديع البستاني (١٨٨٨-١٩٥٤م) شخصية لبنانية من مواليد إقليم الشوف حصل على العديد من الشهادات العلمية مما مكنته من شغل العديد من الوظائف الحكومية وغير الحكومية ومن أهمها المحاماة والعمل السياسي وذلك في سبيل نصرة القضية الفلسطينية:- العودات، ص ٤٤-٤٨.

^(٣) مقابلة شخصية، محمود علان ضامن بركات المساعيد، ٦٢١/١٢/٦م، ص ٢. الكرمل، عدد ٧٤٧، ١٤/٩/١٩٢١م، انظر ايضاً جريدة اليرموك عدد ١٧/٩/١٩٢٥م، ص ١.

^(٤) جريدة الكرمل عدد ٦٩٦، ٦/١٢/١٩٢١م، ص ٢. الكرمل، عدد ٧٤٧، ١٤/٩/١٩٢١م، ص ٤. الحزماوي، ص ٧٣-٧٢.

^(٥) جريدة الجامعة الإسلامية عدد ٧٠٣، ٣/١٢/١٩٣٤م، ص ١. جريدة فلسطين عدد ٣٠٢٢، ١٣/١٣/١٩٣٥م، ص ٥. البديرى، ص ١٦٣-١٦٤.

وفي خضم الهجمة الشرسة، التي باتت تتعرض لها أراضي الجفتلك السلطاني سعت حكومة الانتداب إلى غض الطرف عن الإرادة السلطانية التي تنازل السلطان بموجبها عن حقوقه في أراضي الجفتلك السلطاني بشكل عام، بما فيها الممتدة في فلسطين بالإضافة إلى المادة (٦٠) من معاهدة لوزان عام ١٩٢٣م، والإيعاز بطرف خفي إلى ورثة السلطان للمطالبة بحقوقهم الشخصية فيها، وبالتالي تحويلها من أيدي مزارعيها إلى ملكية خاصة تجري عليها أحكام الأراضي حيازة وتصرفا واستغلالاً، مما يسهل نقلها إلى الحركة الصهيونية وعملاً بذلك بعثت حكومة الانتداب بمدير تسجيل أراضي فلسطين إلى أريحا عام ١٩٢٥م لاستطلاع أراضي الجفتلك، وهو ما اثار حفيظة الأهالي والمتصرفين فيها، وقد رأى مراسل جريدة اليرموك في مدينة القدس في هذه الإجراءات والسكوت عنها من شأنه أن يضع ”أريحا ضحية السياسة الصهيونية ولقمة سائفة لليهود“^(١).

وفي سبيل تشجيع ورثة السلطان البالغ عدهم (٢٢) أميراً وأميرة، ويعانون من أزمة مالية خانقة، على المطالبة بحقوقهم في أراضي الجفتلك في فلسطين، تولت شركة صهيونية تتناثر خلف الاعتمادات الأمريكية تمويل نفقات الدعاوى المرفوعة من قبلهم في المحاكم النظامية، وشراء حقوقهم فيها^(٢).

وإذاء هذا التحرير، حضر بعض أبناء السلطان عبد الحميد وأحفاده إلى فلسطين وقاموا بجولات ميدانية في أراضي الجفتلك، حيث أشارت جريدة فلسطين في عددها الصادر يوم الجمعة ١٦/٨/١٩٣٥م، أن الأمير صلاح الدين من أحفاد السلطان كان في مقدمة مستقبلي الأمير سعود عبد العزيز آل سعود في زيارته إلى فلسطين^(٣) كما أكد محمود علان ضامن بركيات المساعد أنه وهو في العاشرة من عمره- أي في حوالي عام ١٩٣٥م- قد نزل في بيتهما القائم في قرية الجفتلك أحد أحفاد السلطان عبد الحميد لعدة أيام بهدف الإطلاع على أوضاع الأراضي السلطانية هناك^(٤).

وتنتجي ملامح تلاعيب موقف حكومة الانتداب في قضية الجفتلك السلطاني في فلسطين من خلال قرارات المحكمة المركزية في يافا بصفتها متخصصة في شؤون الأراضي التي صدرت بناء على الدعاوى التي تقدم بها الورثة مطالبين فيها بحقوقهم في أراضي الجفتلك معتمدين في ذلك على

^(١) جريدة اليرموك عدد ٣٩٢٥/١/٢٢، ١٩٢٥م، ص ٢.

^(٢) جريدة الدفاع عدد ٩٩٤/١١/٤، ١٩٣٩م، ص ٧. جريدة الدفاع عدد ٩٩٧/١١/٦، ١٩٣٧م، ص ٢.

^(٣) جريدة فلسطين عدد ٣٠٢٥/٨/١٦، ١٩٣٥م، ص ٣.

^(٤) مقابلة شخصية محمود علان ضامن بركيات المساعد، ٧٥ سنة، الجفتلك، ١١/١/٢٠٠٢م.

القواجين وسندات الملكية التي في أيدهم ومنها على سبيل المثال القوجان الخاص بـ (٤٥٨٠) دون من أراضي قرية المحرق حيث أقر القاضي الانجليزي بملكية لها في حين عارضه مستشاره القانوني مستندا في ذلك إلى اتفاقيات الثانية المبرمة بهذا الخصوص بين الحكومتين العثمانية والإنجليزية ١٩١٩-١٩٢١م، كما عارضه أيضاً مساعده العربي مستندا في ذلك إلى عقود الإلقاء الباطلة التي أبرمتها السلطان مع المزارعين وفي نهاية المطاف، تغلب رأي القاضي الانجليزي مسدلا الستار على قضية استمرت مدة لاثنين ونصف^(١).

وأسوة بأراضي المحرق فقد حكمت المحكمة المركزية في يافا للورثة بـ (١٣٠٠٠٠) دونم تمت في أراضي سهول الحولة، وأريحا، وحيفا، وغزة، بحجة أن حكومة الانتداب لم تتمكن من بطلان الدعوى بما لديها من وثائق ومستندات في وزارة الخارجية مع نصوص المعاهدات المبرمة مع تركيا، وفي مقدمتها معاهدة لوزان ١٩٢٣م، ولهذا فإنها سوف تعمل على حل القضية وديا، حيث كان الورثة يطالبون بمبلغ (٥) مليون جنيه فلسطيني مقابل التنازل عن جميع أراضي الجفتلك في فلسطين^(٢).

وقد رأت جريدة فلسطين الصادرة عام ١٩٣٧م في إجراءات حكومة الانتداب عملا خطيراً سوف يثير العديد من المنازعات القضائية بين الورثة والحكومات العربية الناشئة في كل من العراق وسوريا والأردن وغيرها حيث تنتشر أراضي الجفتلك وعلى وجه التحديد في الجزيرة الفراتية حيث تنتشر فيها مجموعة من حقول البترول الغنية^(٣).

ومما لا شك فيه، أن الحل الوسيط قد أفاد الحركة الصهيونية من ناحية، والعائلات الفلسطينية المتفقة التي وضعت يدها على مساحات واسعة من أراضي الجفتلك ولا تزال في أيديهم إلى يومنا هذا من ناحية أخرى وجاء ذلك من خلال علاقاتها الوطيدة بسلطات الانتداب وعملها في أروقة دوائر الطابو منذ العهد العثماني واطلاعها على ما يجري حول الأراضي السلطانية من تطورات وامتلاكها

^(١) جريدة الدفاع عدد ٩٩٤، ٩٩٤/١١/٤. جريدة الدفاع، ١٠١٠، ١٠١٠/١١/١٩. ص. ٤. خارطة فلسطين (سطر ٩ عمود، و)

^(٢) جريدة الدفاع عدد ٩٩٤، ٩٩٤/١١/٤، ص. ٧. جريدة الدفاع عدد ١٠١، ١٠١/١٩٣٧، ص. ٤.

^(٣) قارن بين كل من التالية:- جريدة فلسطين عدد ٧٥٩، ١٩٢٥/٣/٦، ص. ١. فلسطين عدد ٨١٦، ١٩٢٥/١٠/١٦، ص ١ Granott,P276..1

لسيولة نقدية كبيرة مكنتها من تسليف المزارعين في حالات الازمات وأخذ أراضيهم عند عدم الوفاء بها^(١).

ومن الجدير بالذكر أن الحركة الصهيونية لم تكتف بما حققته من انجازات في أراضي الجفتلك السلطاني الممتدة في فلسطين، بل تجاوزت ذلك إلى أراضي الجفتلك الممتدة في الضفة الشرقية لنهر الأردن. ففي عام ١٩٣٥م تركزت جهودها على شراء أراضي غور كبد بوساطة سمسارة من مدينة بيت لحم تحت ستار انشاء مصنع للسكر ومن ثم نقلها إلى الحركة الصهيونية وفي السنة التالية تمكنت من وضع يدها على (١٥٠٠٠) دونم من أراضي الغور نفسه مما يعني أن محاولاتها قد تكللت بالنجاح^(٢) وفي ذلك العام كانت تحركات السمسارة تدور حول قرية البطحية التابعة لهضبة الجولان السورية القائمة عند الزاوية الشمالية الشرقية من بحيرة طبرية^(٣)، إلا أن الصفة التي كانت تصل إلى (٣٥٠٠٠) دونم قد جمدت لكونها تقع داخل منطقة الانتداب الفرنسي^(٤).

النتائج

١. ان ملكية السلطان بمساحتها الكبيرة قد حطمت كل مقاييس المقارنة في الملكيات التي شهدتها فلسطين في العصر الحديث.
٢. تمحورت ملكية السلطان في فلسطين حول فكرة الإلقاء، وهي مجرد ملكية صورية وإن أُنفق السلطان على تسجيلها قسطاً وافراً من أمواله الخاصة، حيث استخدم صلاحياته الواسعة في الإشراف على خزينة الدولة وممتلكاتها بصفته إمام المسلمين وخليفهم، وتتمتعه بالقوة العسكرية والمعنوية التي يستمدّها من خلال تربّعه على كرسي السلطة في الدولة، وذلك من خلال نسج مظلة حماية قوية على أراضي الجفتلك ومزارعيها بهدف تحقيق غايات سامية مقصدها حماية الدين والدولة من المخاطر التي كانت تحدّق بها على الصعيدين الداخلي والخارجي.

^(١) جريدة فلسطين عدد ٣٦٨٩/١١/١٩٣٧، ص ٤-٤. فلسطين عدد ٣٦٩٠/١١/٢٠، ص ١. فلسطين عدد ٣٦٩١/١١/٢١، ص ١-٤. فلسطين، عدد ٣٦٩٣/١١/٢٣، ص ١. أبو بكر، ص ٥٦٢-٥٦٣. جولة ميدانية في أراضي غور الفارعة بتاريخ ١٢/٢٥/٢٠٠١م.

^(٢) جريدة الجامعة الإسلامية عدد ٧٩٣/٢٥، ص ٤. جريدة الجامعة الإسلامية عدد ١٠٢٩/١/٧، ص ٤.

^(٣) جريدة الدفاع عدد ٥٦٤/٣/٢٩، ص ٧.

^(٤) أفنيري، ص ٦٩.

٣. إن غايات السلطان وأهدافه كانت ترمي إلى اتخاذ خطة بعيدة المدى مقصدها ترسيخ أواصر العمران والاستقرار في أراضي فلسطين، ليفسد منياع في وجه حركة التغلغل الاجنبي عامة والصهيوني خاصة، والتي اشتدت وطأتها في النصف الثاني من القرن التاسع عشر ومطلع العشرين وذلك في إطار هجمات الحروب الصليبية السلمية التي شنتها أوروبا عبر النشاط التبشيري السلمي الهادئ، لا بقعة السلاح، كما حصل أول مرة في العصور الوسطى، وكانت قضية تملك الأرضي من قبل الاجانب من أهم القضايا التي أرقت السلطان.
٤. إن السلطان لم يتطلع في يوم من الأيام إلى مزاحمة رعاياه في محاصيلهم الحقلية، مهما تشكلت أنواعها، وتبينت مفadيرها، لكونها مصدر الرزق الأساسي للرعاية، وعلى وجه التحديد في الأرضي ذات القدرات الانتاجية المتواضعة ليشبع نزعة التملك لديه، وجمع الاموال، في الوقت الذي كانت خزائن اسطنبول تحت تصرفه والسهول الخصبة والجذان الغناء في متداول يديه.
٥. إن السلطان عبد الحميد، بحكمته السياسية البعيدة المدى، استطاع أن يضرب حصنينا منياع وهما حول مساحات واسعة من أراضي الإمبراطورية العثمانية وفي مقدمتها فلسطين، الأمر الذي حال دون انتقالها إلى أيدي الحركة الصهيونية والشركات الأجنبية في وقت مبكر، وكان عزله عن سدة الحكم عام ١٩٠٩م، وتولي جمعية الاتحاد والترقي مقاليد الامور وزوال الحكم العثماني عنها خلال فعاليات الحرب العالمية الأولى ١٩١٨-١٩١٤م، ودخولها تحت نير الاحتلال البريطاني ١٩١٨/١٩١٧م، وفرض الانتداب عليها، كان بمثابة المعاول التي أخذت تقت في بنائه شيئاً فشيئاً الأمر الذي مكن الحركة الصهيونية من وضع يدها على مساحات واسعة منها.

المصادر والمراجع

١. المصادر
 - أ. المصادر غير المنشورة
 ١. سجلات المحاكم الشرعية
 - أ. سجلات محكمة جنين الشرعية، محفوظة في محكمة جنين الشرعية، جنين، فلسطين.
 - ب. سجلات المحاكم الشرعية الخاصة بكل من محكمة الخليل، والقدس، ونابلس، وبافا.
- (١٢١٤هـ/١٧٩٩م - ١٣٣٦هـ/١٩١٨م) ميكروفيلم، مركز الوثائق والمخطوطات، الجامعة الأردنية، عمان الأردن.

٢. دفاتر الطابو العثمانية محفوظة في دائرة الأراضي والمساحة، قسم التصوير، عمان، الأردن.
- دفتر (٢) يوقلمة اذنبة، ٢٩٥ مالية.
 - دفتر (٣) يوقلمة الرسم، ٢٩٥ مالية.
 - دفتر (١١) تحقيقات أراضي القرى الشمسية وغور بيسان، ١٢٨٦-١٢٨٨ مالية.
 - دفتر (١٢) كشف مزايدة، ١٢٨٦ مالية.
 - دفتر (١٦) دائمي، ١٣٠١ مالية.
 - دفتر (٢٨) سجل محولات السلطان عبد الحميد خان، جنين، ١٩٢٠ م.
 - دفتر (٣٦) يوقلمة عرب البشتوية، ٢٩٧ مالية.
٣. **الجولات الميدانية والمقابلات الشخصية.**
- جولة ميدانية في أراضي الجفتاك (غور الفارعة) ٢٠٠١/٢٥ م.
 - جولة ميدانية في أراضي مدينة اريحا، ٢٠٠١/٩/٣٠ م.
 - مقابلة شخصية، الحاج محمد صالح دحبور، ٨٠ سنة، قرية عربة، محافظة جنين، ١٩٩٩/١١/١١ م.
 - مقابلة شخصية، رشيد عبد اللطيف العمري، ٥٧ سنة، قرية عرانة، محافظة جنين، ٢٠٠٠/٧/٢٧ م.
 - مقابلة شخصية، محمود علان ضامن بركات المساعيد، ٧٥ سنة، الجفتاك، ٢٠٠٢/١/١١ م.
 - مقابلة شخصية، د. مفید الزبیدی، أستاذ التاريخ الحديث والمعاصر في جامعة بغداد، العراق، ٢-٥/٢٠٠١ م.
- ب. **المصادر المنشورة**
- ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم (ت ٧١١هـ/١٣١١م) لسان العرب، ١٨، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ١٩٩٣.
 - أبو يوسف، يعقوب بن إبراهيم (ت ١٨٣هـ) كتاب الخراج، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ١٩٨٧ م.
 - البلذري، احمد بن يحيى بن جابر (ت ٢٧٩هـ) تحقيق صلاح الدين المنجد، نشر مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، مصر ١٩٥٦ م.
 - التميمي، رفيق، وبهجة الكاتب، ولادة بيروت القسم الجنوبي، بيروت، لبنان، ١٣٣٥هـ.
 - الدستور العثماني، ٢، ج، ترجمة نوبل أفندي نعمة الله نوبل مراجعة خليل أفندي الخوري، المطبعة الأدبية، بيروت، لبنان، ١٣٠١هـ.
 - زيدان، جرجي، فلسطين تاريخها وأثارها وسائل أحوالها الاقتصادية والعلمية، مجلة الهلال، ٢٢، م، القاهرة، مصر، ١٩١٣-١٩١٤ م.

٧. الشهابي، حيدر احمد (١١٧٤هـ/١٧٦١م - ١٢٥١هـ/١٨٣٥م) لبنان في عهد الأمراء الشهابيين، ٣ ج، تحقيق أسد رستم وافرام البستانى، منشورات الجامعة اللبنانية، قسم الدراسات التاريخية، بيروت، لبنان، ١٩٦٩م.
٨. الشهابي، مصطفى، بحث في أملاك الدولة الحالة الاقتصادية في سوريا ولبنان، مجلة المشرق، السنة الثالثون، لبنان، بيروت، ١٩٣٢م.
٩. الصحف العثمانية.
- جريدة الاتحاد العثماني، (بيروت) عدد ٧١، ١١٩، ٤٧٠، ٤٩١.
 - جريدة البشير (بيروت) عدد ٧٧٧، ١٤٤٣، ٢٢٨١.
 - جريدة الحضارة (اسطنبول) عدد ٧٣٣.
 - جريدة الجامعة الإسلامية (يافا) عدد ٧٠٣، ٧٩٣، ١٠٢٩.
 - جريدة الجهاد، (يافا) عدد ١٧٠.
 - جريدة العصر الجديد (بيروت) عدد ١١٣، ٢٠٥.
 - جريدة الكرمل (حيفا) عدد ٧٤٧، ٦٩٦، ٧٤٥.
 - جريدة فلسطين (يافا) عدد ٢١٦، ٢٥١، ٢٦١، ٢٦٤، ٣٦٩٠، ٧٥٩، ٨١٦، ٣٦٩، ٣٦٨٩، ٣٦٩٠، ٣٦٩١.
 - جريدة المقتبس (دمشق) عدد ٥٠٢٦١، ١٢٦١، ١٢٩٨، (القبس) عدد ١.
 - جريدة المنادي (القدس) عدد ٧٢٢.
 - جريدة ولاية سوريا (دمشق) عدد ٩٣.
 - جريدة اليرموك (حيفا) عدد ٢٣٩، ٤٠، ٨٩٠.
١٠. قانون الأراضي العثماني، في: من الدستور الجديد ترجمة نقولا أندري نقاش، مطبعة الآباء اليسوعيين، بيروت، لبنان، ١٢٩٠هـ/١٨٦٣م.
١١. منصور، اسعد، تاريخ الناصرة، القاهرة، ١٩٢٣م.
١٢. نظام الطابو العثماني، في: من الدستور الجديد ترجمة نقولا نقاش، مطبعة الآباء اليسوعيين، بيروت، لبنان، ٢٩٠هـ/١٨٦٣م.
١٣. نعوم، بك شقير، تاريخ سيناء القديم والحديث جغرافيتها، القاهرة، مصر، ١٩١٦م.
14. Bergheim, Samuel, Land Tenure in Palestine,"PEFQS"Vol.26, London (1894).
15. Thomson, William: The Land and the Book, London, 1894.
16. Finn, James. : Stirring Times or Records from Jerusalem Consular Chronicles of 1853To1856, 2.Vols, London, 1878,
17. Tristram, H.B, the Land Of Moab, London, 1871.

18. Conder .C.R. and Kitchener .R. E., Map of Western Palestine in 26 Sheets from Surveys Conducted for the Committee of the Palestine Exploration Fund, During the Years 1872-1877, 1:63360 Mile, London , 1880.

٢. المراجع

- (١) أبو بكر، أمين، ”ملكية الأرضي في متصرفية القدس ١٨٥٨-١٩١٨م“، مؤسسة عبد الحميد شومان، عمان، الأردن، (١٩٩٩م).
- (٢) أفييري، أريه، ”دعوى نزع الملكية الاستيطان اليهودي والعرب ١٨٧٨-١٩٤٨م“، ترجمة بشير البرغوثي، ط١، دار الجليل للنشر والدراسات والأبحاث الفلسطينية، عمان، الأردن، (١٩٨٦م).
- (٣) البديري، هند، ”أراضي فلسطين بين مزاعم الصهيونية وحقائق التاريخ“، الأمانة العامة، جامعة الدول العربية، القاهرة، مصر، (١٩٩٨م).
- (٤) الحزماوي، محمد ماجد صلاح الدين، ”ملكية الأرضي في فلسطين ١٩٤٨-١٩١٨م“، ط١، مؤسسة الأسودار، فلسطين، (١٩٩٨م).
- (٥) خارطة فلسطين جمعية الدراسات العربية، ١:٢٥٠٠٠، القدس، (١٩٨٧م).
- (٦) الدباغ، مصطفى مراد، ”بلادنا فلسطين“، ١١ج، ط٤، دار الطليعة، بيروت، لبنان، (١٩٨٨م).
- (٧) دروزة، محمد عزة، مذكرات محمد عزة دروزة ١٣٠٥هـ - ١٤٠٤هـ / ١٨٨٧-١٩٨٤م، ط٦، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، (١٩٩٤م).
- (٨) شولش، الكزاندر، ”تحولات جذرية في فلسطين ١٨٥٦-١٨٨٢م“، ترجمة كامل العسلي، الجامعة الأردنية عمان، الأردن، (١٩٨٨م).
- (٩) العارف، عارف، ”المفصل في تاريخ القدس“، ط٤، مكتبة الأندرس، القدس، فلسطين، (١٩٩٦م).
- (١٠) تاريخ بير السبع وقبائلها، القدس، فلسطين، (١٩٤٣م).
- (١١) العودات، يعقوب، ”أعلام الفكر والأدب في فلسطين“، ط٣، دار الإسراء، القدس، فلسطين، (١٩٩٢م).
- (١٢) غنائم، زهير عبد اللطيف، ”لواء عكا في عهد التنظيمات العثمانية ١٢٨١-١٣٣٧هـ/ ١٨٦٤-١٩١٨م“، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، ط١، بيروت، لبنان، (١٩٩٩م).
- (١٣) قاسمية، خيرية، ”النشاط الصهيوني في الشرق العربي وصداته ١٩٠٨-١٩١٨م“، بيروت، لبنان، (١٩٧٣م).
- (١٤) النمر، إحسان، ”تاريخ جبل نابلس والبلقاء“، ج٤، مطبعة جمعية عمال المطبع التعاونية، نابلس، فلسطين، (١٩٧٥م).
- (١٥) ”وثائق الحركة الوطنية الفلسطينية ١٩١٨-١٩٣٩م“، من أوراق اكرم زعبيتر، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، أعدتها للنشر بيان نويهض الحوت، ط٢، بيروت، لبنان، (١٩٨٤م).